المحاضرة الاولى

اهمية الموضوع:

عني فريق من أدبائنا ومؤرخينا في القرن الحالي بدراسة مؤرخينا الأعلام وتحقيق كتبهم ولم يألوا جهدا في إنجاز دراسات قيمة كفت دارسي التاريخ العربي الإسلامي ولا سيما الطلاب الجامعيين في حالات كثيرة مؤونة الرجوع إلى كتب التراجم التي يجدون فيها بعض ما يروون به ظمأهم عن حياة جهابذة مؤرخينا الأوائل وطرقهم في معالجة الموضوعات التاريخية .

وكثيرا ما مهد محققو الكتب التاريخية القديمة لهذه الكتب بمقدمات تناولوا فيها دراسة حياة مؤلفي هذه الكتب وأسلوبهم في البحث التاريخي ، وإن كان الإيجاز هو الصفة الغالبة على هذه المقدمات ولذا كانت الفائدة منها محدودة مقتصرة على الوقوف على أسلوب المؤرخ مؤلف الكتاب فحسب .

وقل إن عمد أدباؤنا إلى إنجاز دراسات تفصيلية عن أساليب مشاهير المؤرخين العرب والمسلمين لبيان أهمية تلك الأساليب وصلتها بالأسلوب العلمي الحديث في البحث التاريخي . ونحن مدينون في هذه الناحية إلى بعض كبار الأساتذة المعاصرين ونختص بالذكر منهم المرحوم الأستاذ أحمد أمين والأستاذ الدكتور قسطنطين زريق والأستاذ الدكتور أسد رستم والأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الذين كانت جهودهم بناءة وأسهموا إلى حد كبير في تذليل الصعاب الجمة التي تعترض سبيل دارس التاريخ الحريص على معرفة الصفات البارزة لأسلوب مؤرخينا القدامى . هذا ويجب ألا تفوتنا الإشارة إلى الدراسات القيمة التي قام بها أقطاب المستشرقين في القرنيين الماضي والحاضر ومن بينهم الأساتذة جب وكرامرز ومرغليوت ويوسف هوروفيتش وكثيرون غيرهم في هذا الصدد. ولا تزال بحوثهم سواء منها التي أوردوها في دائرة المعارف الإسلامية أم الكتب التي ألفوها عن مؤرخينا نبراسا يهتدي دارس التاريخ بهديه .

وعلى الرغم من تلك الجهود العظيمة من قبل الأساتذة العرب والمستشرقين فقد بقيت طريق دارس التاريخ فيما يتعلق بتحليل النصوص التاريخية غير معبدة والبحث تكتنفه الصعاب لعدم وجود مراجع تحدد الأسس التي سيقوم عليها تحليل هذه النصوص .

لأجرم أن طريقتنا في تحليل النصوص المقتبسة من أمهات كتب تاريخنا القديم تختلف اختلافاً بينا عن طريقة تحليل الأساتذة الغربيين لنصوص كتب تاريخهم . فنحن نسعى دائما لشرح أسلوب المؤرخ الأدبي بالنسبة للعصر الذي عاش فيها المؤرخ صاحب النص ، كما ندرس الأسلوب التاريخي للنص الذي بين أيدينا ونبين في دراستنا هذه مدى تقيد صاحب النص بالقواعد التي وضعها أقطاب مدرسة الحديث منذ نهاية القرن الأول الهجري لتدوين التاريخ .

ونحن نعنى كذلك بدراسة شخصية مؤرخنا وهل التزم في نصه جانب الحياد والتجرد والنزاهة وهي الصفات الواجبة التوفر في المؤرخ بصوره عامة أم كان منحازاً إلى فئة من الفئات التي تناول عنها . ونلاحظ أخيراً إن كان مؤرخنا صاحب النص المطلوب منا تحليله قد لجأ إلى النقد العلمي في حالة عثوره في بحثه على روايات مختلفة أو أنه وقف منها موقفاً سلبياً مكتفياً بإيراد مختلف الروايات دونما ترجيح لإحداها على الأخرى مع بيان الحجج التي حملته على هذا الترجيح .

سنحلل في هذا المساق نصوصاً لطائفة كبيرة من مؤرخينا عنينا أن يكونوا ممن شهروا بالتأليف في فروع التاريخ العربي الإسلامي الستة وهي :

السيرة والمغازي ، والطبقات ، وفتوح البلدان ، والبلدان ، والتراجم ، وأخيراً التاريخ العام .وكذلك نماذج من الحروب الصليبية والتاريخ الحديث والمعاصر إن أمكن .

وحرصاً على الفائدة حللنا لكل فرع نصاً أو نصين أو أكثر ، وذلك حسب أهمية الفرع ومؤرخيه الأعلام لتكون بالنسبة لطلابنا بمثابة نماذج ليحاكوها عندما يقومون بتحليل نصوص مشابه لها. علماً أنه يصعب قيام تطابق تام بين مختلف النصوص ولو كانت تعالج موضوعاً واحداً وداخل إطار فرع واحد . لأن كل نص يستدعي ملاحظات خاصة به وانه لا يمكن التعميم في عملية تحليل النصوص التاريخية ، فما ينطبق على نص من النصوص لا يمكن أن ينطبق تماماً على سواه .

ومن الجدير بالذكر أننا لم نعن بدراسة نشأة علم التاريخ عند العرب ولا بدراسة الأسباب التي حدت بمؤرخينا إلى أن يوجهوا عنايتهم إلى التاريخ العربي منذ ظهور الإسلام . كما لم نهتم بمميزات تاريخنا،إنما جعلنا محور الدراسة في تحليل نصوص فروع التاريخ العربي الإسلامي والحديث.

إن تحليل النصوص مفيد جداً للطلاب لأنه يعود دارسي التاريخ الرجوع إلى أمهات مصادر تاريخنا العربي ، فيقتبسون المعلومات المتعلقة بهذا التاريخ من معينها الأصلي بدلا من الرجوع إلى ما كتبه المؤرخـون المعاصرون عن قضايا تاريخنا.

ولا يمكن أن تؤمن مادة التحليل الفائدة المرجوة منها إلا إن كان تحليلنا أصولياً ومعتمداً على شرح بعض النقاط التي لا غنى عن شرحها للتعمق في فهم نص من النصوص التاريخية المتعلقة بتاريخنا العربي .

وحري بنا أن نذكر في هذه التوطئة أن تحليل نص تاريخي ما لا يعني تلخيصه بكتابه موجز له . كما وإن العمل المطلوب في التحليل يختلف إختلافاً بيناً عما يطلب في تحقيق هذا النص . ففي تحقيق نص من النصوص نتثبت مما قاله المؤرخ عن حادث ما بمقارنته بما أورده مؤرخون آخرون معتبرون من الثقات عن الحادث نفسه .

ويقتضي هذا العمل الرجوع إلى مختلف المصادر القديمة التي تعرضت للحادث التاريخي نفسه . وتكون غاية التحقيق عادة التأكد من أمانة المؤرخ في عرض الحادث وأنه عرض مراحله بتجرد ونزاهة دون أن ينحاز إلى فريق دون آخر . فنحن والحالة هذه نتحقق ونتثبت ونتأكد من أمانته العلمية في النقل الأداء . هذا ولو إننا في النصوص التي حللناها وأثبتناها كنماذج ليراجعها الطلاب ، ففي هذه النصوص كثيراً ما قارنا ما أورده المؤرخ صاحب النص المحلل عن حادث تاريخي ما بما ذكره مؤرخون آخرون لنتأكد من أمانة المؤرخ أما الطلاب فإنهم في العادة معفيون من عناء التحقيق وذلك لعدم توفر كتب المراجع بين أيديهم دائماً .

يستهل الطالب عمله في التحليل بإيراد نبذة موجزة عن المؤرخ صاحب النص يتعرض فيها لحياته وتآليفه وعصره دون الإفاضة في شرح هذه الأمور .

كما يورد الطالب بعد ذلك ملخصاً للحادث التاريخي الذي يتناوله المؤرخ بالدرس في نصه متوخياً ألا يتجاوز موجزه عن حياة المؤرخ وملخصه عن الحادث الصفحة الواحدة فحسب .

أما النقاط التي يجب على الطالب الاهتمـام بتحليلهـا على ضوء دراسته للنـص فهي خمـس تتعلـق بشخصيـة المـؤرخ صاحب النص ، وبأسلوبه التاريخي ، وبأسلوبه اللغوي ، وبحياده أو انحيازه ، وبموقفه *من النقد العلمي .

==========

المحاضرة الثانية

كيف نحلل نصا تاريخياً

وسنشرح الآن بإيجاز هذه النقاط الخمس منيرين بهذا الشرح سبيل الطالب في العمل المراد منه إنجازه في التحليل :

١- شخصية المؤرخ : مناقشة ١

لاحظ النقدة أن مؤرخينا هم على العموم مسلوبو الشخصية فيما دونوه من كتب ، وعلى ذلك فإن القاعدة العامة في كتبنا التاريخية ألا تتضح شخصية مؤلفيها . وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن أن نلاحظ في النصوص التاريخية بعض الإشارات التي قد تنير سبيلنا للكشف عن نواحي شخصية واضعي تلك النصوص ، أو لتعيين العصر الذي كتب النص فيه ، أو لتحديد مدرسة المؤرخ صاحب النص على الأقل .

فإن طلب منا مثلا تحليل نص لمؤرخ من الذين التزموا أسلوب مدرسة الحديث في تدوين التاريخ دون تحديد اسم ذلك المؤرخ فإنه بوسعنا على ضوء ما نلاحظه في النص من حرص على إيراد الأسانيد (أي رواة الخبر التاريخي) مرسلة كاملة غير مقطوعة ، وإيراد اختلاف الأسانيد إن كان ثمة اختلاف بينها ، وإيراد اختلاف المتون (أي الخبر التاريخي نفسه) إن كان هناك اختلاف بين الرواة حولها ، وحرص المؤرخ الشديد على ألا يعتمد في نقل الأخبار إلا على السماع فقط . فهذه الملاحظات كلها تمكننا من إدراك أن المؤرخ صاحب النص هو من زمرة المؤرخين الذين وضعوا كتبهم في فترة اشتهرت بممارسة مدرسة الحديث فيها نوعاً من الوصاية على تأليف التاريخ ، وبما أننا نعلم أن تلك الوصاية كانت على أشدها في القرنيين الثاني والثالث للهجرة ولا سيما في المدينة وفي بغداد فلكل ما ذكر يكون بوسعنا القول أن هذا النص هو لأحد المؤرخـين الذين عاشـوا في أحد هــذين العصرين في تلك الفترة .

وقد نجد في النص المراد تحليله إشارات فلكية ، أو حرصاً من المؤرخ على الدخول في التفاصيل الدقيقة التي تتطلب صبراً وطول أناة وهي من الصفات التي يتحلى بها العلماء في العادة . فنقول إن النص الذي بين أيدينا هو لأحد مؤرخينا العلماء الذين ندعوهم عادة بالمؤرخين الأنسيكلوبيديين لتضلعهم في أكثر من علم واحد ومن بين هؤلاء اليعقوبي وأبوحنيفة الدينوري وابن قتيبة الدينوري وغيرهم . هام

كما قد نلاحظ في النص المطلوب تحليله إشارات فقهية أوتفسيرية فنقول إنه لأحد مؤرخينا الذين حذقوا العلوم الدينية بما فيها الحديث كالواقدي والطبري والحافظ الخطيب البغدادي وقاضي القضاة ابن خلكان .

وقد تكون تلك الدقائق التي عثرنا عليها في النص الجغرافية فنقول إن النص الذي بين أيدينا هو لأحد المؤرخين الرحالة كالمسعودي أو كياقوت الحموي .

ولربما وجدنا في النص ميلا للأمويين أو للعباسيين أو للعلويين فنعرف أنه لأحد أولئك المؤرخين الذين شهروا بتعصبهم للأمويين كالزهري أو للعباسيين كالبلاذري أو للشيعة كنصر بن مزاحم أو كأبي الفرج الأصفهاني أو كابن الطقطقي .

وهكذا فمع عدم معرفتنا لأسم المؤرخ صاحب النص فإنه بوسعنا أن نلاحظ في نصه بعض النقاط الدقيقة الكفيلة بتمكيننا من كشف بعض زوايا من شخصية المؤرخ صاحب النص المراد تحليله .

٢- الأسلوب التاريخي : مناقشة ١

ونريد بهذا الأسلوب أن نكشف عن مدى تمسك المؤرخ صاحب النص بالأسس التي وضعها أساطين مدرسة الحديث لتدوين التاريخ . وقد اضطر المؤرخون طيلة القرنين الثاني والثالث وصدر القرن الرابع أن يتقيدوا بالقواعد التي وضعها أقطاب مدرسة الحديث لتدوين التاريخ كالحرص على الاعتماد على السماع في نقل الأخبار وليس على النقل من الصحف المدونة (أي الكتب) ، وإيراد الأسانيد الكاملة ، وإثبات اختلافها واختلاف المتون إن كان ثمة اختلاف بشأنها والخ ... فيجب علينا ألا نغفل الإشارة إلى هذه الناحية وهي ممكنة جداً بالاستناد إلى الدراسات التي انجزناها لحياة كل مؤرخ ، وموقفة من طريقة المحدثين في تدوين التاريخ .

ولئن كان التقيد بهذه القواعد مفروضا على كل مؤرخ لاسيما إلى نهاية القرن الثالث للهجرة فإن المؤرخين بدؤوا يتهاونون في التمسك بها منذ مستهل القرن الرابع . وقد قل هذا التقيد الحر في تلك القواعد بعد هذه الفترة وذلك تجنباً لإطالة الكتب . هذا باستثناء بعض المؤرخين ذوي النشأة الدينية الذين كانوا محدثين أو قضاة فهؤلاء استمروا محافظين ولو بصورة جزئية على القواعد التي وضعها رجال الحديث سابقاً .

. ومن بين هؤلاء المؤرخين الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، من مؤرخي القرن الرابع والنصف من القرن الخامس ، وقاضي القضاة ابن خلكان أحد مؤرخي القرن السابع .

وقصارى القول أنه يجب ألا تفوتنا ملاحظة هذه الناحية والإشارة إليها أثناء تحليلنا للنص .

٣- الأسلوب اللغوي :

تغير الأسلوب اللغوي لكتبنا التاريخية بتغير الأسلوب الأدبي عامة فبعد أن كان النثر في القرون الثلاثة الأولى للإسلام مرسلاً لا أثر للصنعة أو المحسنات البديعية فيه ومتأثراً بأسلوب القرآن الكريم وحديث الرسول . وهذا ما نلاحظه بصورة جلية من خلال مراجعتنا للغة التي دونت بها كتب جهابذة التأليف التاريخي في القرنين الثاني والثالث كسيرة ابن إسحاق ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد ومعركة صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ بغداد لابن طيفور والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدنيوري وتاريخ اليعقوبي واخيراً تاريخ الطبري .

ثم بدأت الصنعة تغزو سوق النثر الأدبي وصار الكتاب يعتمدون على المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق والخ ... وقد رددت كتب التاريخ الموضوعة منذ منتصف القرن الرابع صدى هذا التحول من حيث بدء اهتمام مؤلفيها بالسجع وغيره من المحسنات مهملين عمق التفكير وسبك العبارة وحسن صياغتها مما كان معروفاً ومألوفاً في كتب الفترة السابقة .

وصار المؤرخ معنياً بانتخاب الكلمات التي توافق السجعات التي التزمها في فقرة من الفقرات أكثر من حرصه على أداء المعنى بأسلوب مرسل رشيق محبب إلى النفوس مستساغ في الأذان .

ومن الغريب أن الاهتمام بالمحسنات البديعية وخاصة السجع بدأ يظهر بوضوح في عناوين كتب التاريخ منذ ذلك . فبعد أن كانت تلك العناوين في القرون الثلاثة الأولى بسيطة خالية من أي أثر للتكلف كسيرة ابن اسحاق ، وفتوح البلدان للبلاذري والطبقات الكبرى لابن سعد والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري وعيون الأخبار لابن قتيبة إذا بنا أمام ركام من العناوين الجديدة التي حرص المؤلفون على أن تكون مؤلفة من عدة سجعات قد تبعث الملل في نفس القارئ قبل قراءة الكتاب نفسه ، ومن بين العناوين الطويلة المسجوعة : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ،واتعاظ الحنفا في سيرة الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب للمقري التلمساني ، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي وغير ذلك من العناوين التي تمجها الأسماع ولا تحبها .

ومهما يكن فيجب أثنا تحليلنا للنص أن نهتم بإيراد بعض الملاحظات المتعلقة بأسلوبه الأدبي . ومن الجدير بالتنويه ، في معرض كلامنا عن الأسلوب الأدبي لمؤرخينا أن مؤرخينا الأوائل جروا على عادة عربية قديمة تعود جذورها وأصولها للجاهلية وهي المبالغة في الاستشهاد بالشعر أثناء عرض بعض الموضوعات التاريخية .

وقد أكثر ابن إسحاق في سيرته من تلك الأشعار لدرجة اعتبرها خصومه أحد المطاعن عليه والمآخذ على أسلوبه مما حمل ابن هشام مهذب سيرته على حذف القسم الأكبر من تلك الأبيات ولا سيما تلك التي اتهم ابن إسحاق نفسه

بنظمها، ثم قل استعمال الأشعار بصورة تدريجية ومع مرور الزمن إلى أن تلاشى بالمرة ، ولو أن رواسب هذه العادة استمرت مرعية حتى يومنا هذا .

٤- حياد المؤرخ أو انحيازه : مناقشة ٢

إن أهم الصفات الواجبة التوفر في المؤرخ الحياد والتجرد والنزاهة ألا يعالج موضوعاته مهما كان نوعها بأي تحيز .ولا يرقى الشك إلى أنه بدرجة ما يكون المؤرخ حيادياً في معالجته القضايا التاريخية بدرجة ما يكون تأثيره أعمق في نفوس قراء كتبه . وبديهي أن تاريخنا العربي زاخر بطائفة من الموضوعات أو القضايا التي تعتبر محكماً للتأكد من حياد المؤرخين الذين عالجوها ،

وما أكثر الأمثلة على تلك الموضوعات ومن بينها النزاع بين علي ومعاوية ونجاح الثاني في تأسيس الخلافة الأموية وبيعة معاوية لابنه بولاية العهد من بعده وخروج الحسين بن علي في خلافة يزيد ومصرعه في معركة كربلاء ....

. ومع ذلك فإننا واثقون من أن الأثر الذي تتركه كتابات هؤلاء المؤرخين المنحازين يكون أعمق في نفوسنا ويؤدي بالتالي إلى استفداحنا الخطب

إن الطبري ، وهو شيخ مؤرخينا إلى نهاية القرن الثالث ، طرق هذه المواضيع ولكنه عالجها يتجرد ونزاهة فكانت أوصافه لها أعمق أثراً في نفوسنا مما ذكره عنها أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين ، أو مما ذكره نصر بن مزاحم في معركة صفين . ولا يقتصر الأمر على هؤلاء المؤرخين ذوي النزعة العلوية فثمة مؤرخون آخرون عرفوا بميلهم إلى الأمويين كمحمد بن شهاب الزهري . فعلى الرغم من الإجماع على تقديره وأنه كان شيخ مؤرخي السيرة والمغازي فإنه جرح لممالأته الأمويين .ولقد قال عنه بعضهم: "لله الزهري لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك" .

وهناك من جرح ابن إسحاق صاحب السيرة المشهورة ليس إلا لأنه وضع سيرته الشهيرة بتكليف من الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور وذلك لملاحظته أنه حشر فيها حديثاً لطف فيه موقف العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وجد العباسيين في غزوة بدر التي حارب فيها في صفوف قريش ضد ابن أخيه والمسلمين . أما الحديث الذي رواه ابن إسحاق فورد فيه أن الرسول عليه السلام قال لمقاتلة المسلمين قبيل نشوب القتال في غزوة بدر ، من رأى منكم العباس فلا يقتله فإنما خرج مكرهاً .

وهناك من اعتبر البلاذري غير موثوق به لأنه كان مقرباً من الخلفاء العباسيين وكان لا ينفك في كتابه عن نعت الدولة العباسية باسم الدولة المباركة كما جرت عادته أن يقول "أمير المؤمنين رحمه الله" في كل مرة يرد فيها أسم أحد خلفاء العباسيين بينما لا يذكر ذلك في حالات كثيرة أورد فيها أسماء الخلفاء الراشدين والأمويين . وقد عد النقدة ذلك تحيزاً منه ومحاباة و مدالسة للخلفاء العباسيين أولياء نعمته . الاخضر واجب ١

وهكذا يجب أن نتأكد من حياد المؤرخ صاحب النص الذي طلب منا تحليله وأن نشير إلى محاباته أوتحيزه في حالة ملاحظتنا أي ميل من جانبه ، لأن المفروض في المؤرخ أن يكون حيادياً نزيها فإن لم يلزم الحياد اعتبر ذلك من بين المطاعن التي تؤخذ عليه .

==========

المحاضرة الثالثة

كيف تحلل نصاً؟

٥- هل لجأ المؤرخ إلى النقد العلمي :

لم يكن مؤرخنا طيلة القرون الثلاثة الأولى وخاصة الذين تمسكوا بأسلوب مدرسة الحديث في تدوين التاريخ يوجهون أي نقد لمتن الخبر الذي يروونه فكان نقدهم منصباً على الرواة أي السند فحسب فإن وثقوا بأخلاق راوي الخبر وثقوا بالخبر الذي رواه عملا بالقاعدة العامة التي كانت تقول : "إن صدق الراوي صدقت الرواية فالصادق لا ينطق إلا بالصدق

وعلى ذلك كان النقد طيلة القرون الثلاثة الأولى موجها إلى رواة الأخبار وليس إلى أخبارهم كفعل علماء الحديث الذين كانوا يهتمون بنقد رواة الأحاديث دون نقد متونها . وإن وجد المؤرخ نفسه أمام خبرين متناقضين كان يجب عليه أن يثبتها مكتفياً بإشارة بسيطة وهي : "والله أعلم أي ذلك كان" تاركاً عبء مسؤولية ترجيح أحد هذين الخبرين المتناقضين على عاتق القارئ . ثم ظهرت بوادر النقد منذ النصف الثاني من القرن الرابع حيث اكتفى بعض المؤرخين بتنبيه القارئ إلى التناقض ، واخذ النقد يظهر بوضوح ولو بصورة جزئية عند الخطيب البغدادي ثم عند ياقوت الحموي ، وبلغ أقوى مراحله عند ابن خلدون من مؤرخي القرنين الثامن والتاسع الهجريين .

فيجب أن نشير إن كان المؤرخ صاحب النص الذي طلب منا تحليله لجأ إلى النقد أو إن كان أهمله .

تلكم هي النقاط المهمه التي يجب ألا نغفلها أثناء التحليل ويجب أن نوليها كلها عناية كافية لنتمكن من إنجاز مهمة تحليل النصوص على أتم وجه .

تنقسم الدراسة في منهج النصوص والوثائق التاريخية إلى قسمين:

-نظري : يشمل مجموعة من الموضوعات لابد للطالب أن يقف عندها مثل:

* - مفهوم علم التاريخ وتطوره عبر العصور.(سبق دراسته في مادة المدخل لعلم التاريخ و علم التاريخ عند المسلمين).

* - ما هي الوسائل والطرق التي يجب على الطالب إتباعها لتحليل نص أو وثيقة تاريخية؟

١-الشك في صحة النص أو الوثيقة أي كان كاتبها.

٢- تطبيق قانون الجرح والتعديل على النص أو الوثيقة .

٣- تصنيف وترتيب المعلومات التاريخية من الأقدم إلى الأحدث ومقارنتها ببعضها والحكم عليها.

٤- الاجتهاد في بعض الأحداث التي لم يعثر الباحث على مصدر لها.

٥- الاستدلال .

-عملي .(يتم اختيار مجموعة من النصوص والوثائق وتطبيق القواعد النظرية عليها كما سيأتي لاحقاً).

ما المقصود بالنصوص والوثائق التاريخية؟

بصفة عامه هي المصادر الأولى التي يعتمد عليها الباحث أو المؤرخ في تدوينه للأحداث التاريخية ، وبدونها يقف المؤرخ عاجزا عن تدوين أو كتابة بحث تاريخي أكاديمي.وتنقسم تلك المصادر إلى قسمين:

١-مصادر مباشرة.

٢-مصادر غير مباشرة.

أولا: المصادر المباشرة وتنقسم إلى قسمين هما:

١-الوثائق التاريخية:

تعتبر الأصول الأولى التي يلجأ إليها الباحث أو المؤرخ للحصول على المعلومة التاريخية ، ذلك لأنها دونت إبان وقوع الأحداث التاريخية ، مثل المعاهدات التاريخية ، الاتفاقيات التجارية ، صكوك البيع والشراء ، عقود الملكية، وثائق الزواج والطلاق ، والقوانين والمراسيم التي تصدر من أولي الأمر في عصر معيين، والأحكام التي تصدر من المحاكم الشرعية وغير الشرعية.... .

واقع الوثائق :

هناك بعض الدول التي حافظت على الوثائق المتنوعة لتاريخ بلدها فظهر ما يسمى بدور الوثائق المصرية والتركية.. وهناك جزء حفظ في المتاحف والجامعات والمحاكم والكنائس والأديرة....

والواقع أن معظم الوثائق الخاصة بالتاريخ الإسلامي تعرضت للتلف أو الضياع أو التحريف أو التبديل والحذف والإضافة من اجل تزيف الحقائق وإلصاق التهم بتاريخ امتنا الإسلامية.ويمكن الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى ذلك ، منها: مناقشة ٥

***الإهمال في حفظ وثائق التاريخ الإسلامي التي تعتبر سجلا حافلا لكل أعمال المسلمين وبدونها يندثر تاريخ الأمة وهويتها وثقافتها**

***عدم معرفة القيمة الحقيقية لتلك الوثائق.**

سوء الحفظ والتنظيم وعدم ترميم تلك الوثائق الأمر الذي ترتب عليه تلف وطمس معالم تلك الوثائق وانعدام الفائدة منها.

تعدد وكثرة الثورات والانقلابات في العالم الإسلامي الأمر الذي أدى إلى هدم أو حرق أو تدمير المباني التي تحفظ مثل تلك الوثائق.

سيطرة الغرب على معظم دول العالم الإسلامي في العصور الحديثة حيث سعى الغرب إلى طمس معالم الثقافة العربية وسلخها عن هويتها .

تسرب العديد من الوثائق إلى خارج العالم الإسلامي إلى دول الغرب (أوربا وأمريكا ..)على أيدي (مافيه) متخصصة في تهريب تلك الوثائق سعيا وراء الثراء السريع وبدون جهد كتهريب معظم الآثار في مصر والشام والعراق.

ماالعمل في حال عدم توفر الوثيقة الخاصة بدراستنا لموضوع أكاديمي؟ مناقشة٦

لاشك أن ضياع الوثائق يعتبر من اكبر العقبات التي تواجه المؤرخ فبدونها لانستطيع سد الفجوات أو الثغرات والفراغات العلمية وفي حال عدم العثور على تلك الوثائق نلجأ للاجتهاد الذي يحتمل الصواب أو الخطأ.

النصوص التاريخية:

هي الأصول التي تحتوي على الأحداث التاريخية للأمة أو الجيل أو العصر أو الدولة ، والنص التاريخي إما يكون (صورته):

كتب على يد شاهد عيان للأحداث.

أو دونه شخص من روايات سمعها .

أو دونها مؤرخ عاش في فترة قريبة من وقوع الحدث وعاد إلى مصادر كتبت عنها ونقل منها غير أن هذه المصادر فقدت.

قيمة شاهد العيان: مناقشة ٧

انه المؤرخ أو الكاتب الذي شاهد الأحداث بعينه ، وقد يكون شارك فيها بنفسه وذلك يعطينا صورة اقرب إلى الواقع ولروح العصر الذي يعيش فيه ويمدنا بمعلومات مستفيضة عن الأحداث .

هل نأخذ برواية شاهد العيان على أنها صحيحة ومسّلم بها؟

هناك عوامل كثيرة يجب أن نأخذها في الحسبان عند قراءة مادوّنه شاهد العيان منها:

١-لا يمكن لشاهد العيان أن يحيط بمختلف جوانب الأحداث.

٢-لا يستطيع شاهد العيان أن يجرد نفسه ممن آفة التحيز له أو لقومه أو لدينه أو لمذهبه.

٣-يجب أن نبحث في مسألة التجرد أو عدمه في الحصول على مكسب مادي من وراء التدوين.

٤-شاهد العيان قد ينتابه الخوف من القائد أو أصحاب السلطة ..

٥- شاهد العيان هو إنسان (من النسيان) فقد يخطئ وقد يصيب ومن ثم تكون كتابته ناقصة لان الكمال لله وحده.

الآثار والمخلفات التي شيدها الإنسان أو تركها ومنها:

علم النميات أو المسكوكات

(عملة ،رسوم ، نحت ، عمارة ، تصوير ، مقابر ....).

الواقع أن دراسة تلك الآثار تعتبر أسهل من دراسة النصوص والوثائق التاريخية والسبب في ذلك يكمن في أن العلاقة بين الآثار وأصحابها تكون ماثلة دائما أمام المؤرخ ، فهذا المسجد شيد للصلاة، والمقابر لدفن الموتى ، والقلاع والحصون لإغراض عسكرية ....

ما الفائدة من دراسة تلك النصوص والوثائق؟ مناقشة ٨

أي ما الفائدة من دراسة علم التاريخ؟

أولا-الفائدة الدينية في التعرف على قصص الأنبياء والرسل و سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين وتطور الدولة الإسلامية، وانتشار الفتوحات مع ما رافق ذلك من جزية وخراج ومسائل فقهية ومذهبية .

ثانيا-الفوائد الدنيوية:

تعتبر دراسة التاريخ مدرسة لتخريج القادة السياسيين، وليس معنى ذلك أن يكون رجل السياسة مؤرخا ولكن يجب عليه أن يجد من المؤرخين الأكفاء ومن الدراسات التاريخية ما ينير له دربه ليحسن التصرف ويحقق النجاح.

علم التاريخ ودراسته يعتبر من أهم مقومات الشخصية التي تحمي صاحبها من الذوبان أو الضياع ، إذ أن علماء النفس يؤكدون أن الاختلال العقلي (الجنون) يحدث للإنسان إذا ما فقد ذاكرته ، كذلك الشعوب والأمم تمرض وتضعف وتسقط وتنهار لضياع تاريخها أو دخول التشويش عليها

-3يعتبر علم التاريخ تراث قيم للإنسانية . فقد ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل (أن من قرأ التاريخ فقد عاش الدهر كله) . واجب ١

-4إن دراسة التاريخ تعطي الباحث سلسلة من المهارات في حياته الخاصة والعامة، منها مهارة التعلم من أخطاء الغير بأخذ العبرة من ذلك ، ومهارة التفكير والربط والاستدلال. **

المحاضرة الرابعه

أهمية دراسة النصوص والوثائق التاريخية:

*الوصول إلى الحقيقة التاريخية أو الاقتراب منها إن صح القول.

*الربط بين الماضي والحاضر والنظر إلى المستقبل.

الخصائص والمميزات التي يتحلى بها الباحث التاريخي: مناقشة ١٢ ، واجب ١

الجد والمثابرة والجلد والصبر .

الشك والنقد

الأمانة والدقة في النقل والتفكير والاجتهاد.

التجرد التام من الميول والأهواء وحب الذات .

حب الحقيقة والسعي إليها.

الشعور بالمسؤولية.

يجب على المؤرخ أن يدرك أن ما يكتبه ويدونه ليس له ولا لحاضره وإنما يفعل ذلك للشعوب والأفراد والأمم في المستقبل ، ولذلك إن أحسن في كتاباته وتدوينه والتزم بالأمانة والإخلاص والدقة والبعد عن الهوى والتأثيرات الذاتية أو الخارجية ، نظر إليه على انه المؤرخ الأمثل وغير ذلك فانه يترك أثارا سلبية على أمته وتاريخه.

مفهوم تحقيق النصوص والمخطوطات

أ - مدخل:

يعد تحقيق النصوص والمخطوطات فرعا من فروع البحث العلمي الأدبي، وهو يتصل بالتاريخ الأدبي من ناحية،كما يتصل بالنقد من ناحية أخرى.

وقد تخصص في هذا الموضوع عدد من العلماء ووهبوا له جهودهم.و يأتي على رأسهم:

(محمود شاكر،وعبد السلام هارون،وأحمد راتب النفاخ،وجودت الركابي،وشوقي ضيف،وجواد الطاهر،وشكري فيصل،وثريا عبد الفتاح ملحس...وغيرهم).

وقد قام هؤلاء العلماء وغيرهم بتحقيق عدد من أمهات الكتب العربية والنصوص تحقيقا علميا،وأصدر بعضهم عددا من الكتب المهمة التي تبين قواعد هذا التحقيق العلمي الهام .ومن بين هذه الكتب نذكر ما يلي:

(١)تحقيق النصوص ونشرها.لعبد السلام هارون. واجب ٣

(٢) أصول نقد النصوص ونشر الكتب.للمستشرق الألماني برجشترا.

(٣) وكتاب قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها .للمستشرقين الفرنسيين:ريجيس بلاشير،وجان سوفاجيه.

(٤) وكتاب قواعد تخطيط المخطوطات.للدكتور صلاح الدين المنجد.

(٥) وكتاب البحث الأدبي.للدكتور شوقي ضيف.

التحقيق : لغة واصطلاحا :

قال الزمخشري في كتابه:أساس البلاغة : واجب ٢

(حققت الأمر وأحققته: كنت على يقين منه،وحققت الخبر،فأنا أحقه:وقفت على حقيقته.ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه:أنا أحق لكم هذا الخبر،أي أعلمه لكم وأعرف حقيقته) (١).

وعلى هذا فالتحقيق في اللغة هو العلم بالشئ،ومعرفة حقيقته على وجه اليقين واجب ٣

ومن هنا أشفق نفر من أفاضل المشتغلين بنشر التراث من التعبير بهذا اللفظ عن أعمالهم في نقد النصوص ونشرها، فأشار بعضهم بكلمة: صحح أو قرأه،أوعارضه بأصوله،أواعتنى به.من أمثال هذه العبارات التي تتصف بروح العلم والإقتصاد في الدعوى.على أن لفظ (التحقيق) قد شاع استعماله اليوم:حتى أصبح مصطلحا لعمل العاملين في هذا المجال:منغير التزام بمدلوله الأصلي في كثير من الأحيان.

ج- أهمية التحقيق:

إن تراث كل أمة مؤشر حضارتها،وتراثها الثقافي لم يقتصر على مرحلة الرواية أو الإملاء...وإنما أتت عليه مرحلة متطورة هي: مرحلة التدوين.

واعتمد التراث على أمانة الوراقين،وتعددت فنون الخط العربي.وفي عصرنا الحديث أطلق على كتب التراث التي لم تطبع بحروف الطباعة الحديثة لقب (المخطوطات).والمكتبات القديمة مليئة بآلاف الكتب المخطوطة في جميع أنواع المعرفة.

ولقد مرت الإنسانية بعصور ثلاثة،أوسطها عصر (المخطوطات) وهو العصر الفاصل بين ما قبل التا ريخ،وعصر الطباعة.

تعريف المخطوطة: مناقشة ٩ واجب ٣

المخطوطة هي الكتاب المدون بخط اليد كما في كتب التراث والكتب الحديثة وكل المذكرات التي لم تطبع.والأرجح أن المخطوطة تخص فقط الكتاب القديم الذي تركه مؤلفه بخط يده أو بخط غيره.

منهج القدماء في التحقيق

يعتمد القدماء في تحقيقهم على ثلاثة أشياء هي:

(١)الضبط.

(٢)التحرير.

(٣)المقابلة.

وأما الضبط فيعنون به تقويم نص الكتاب والتأكد من صحته.وفي اللغة:

إصلاح الخلل أو تصحيحه وتشكيله.

وأما التحريرفهو عندهم،قد يرادف الضبط حين يراد به تقويم الكتاب والتأكد من صحته أيضا، والضبط يتميز عن التحرير بأنه قد يعني الوقوف على شكل الكلمات وتقويمها طبقا لقواعد النحو العربي.

وأماالمقابلة فتعني مقابلة نسخ الكتاب المختلفة بعضها على البعض من أجل ضبط نص الكتاب وتصحيحه

وعندما ندقق النظر في طريقة القدماء وموقفهم من الكتب المخطوطة نقف على الدقة والأمانة التي تمتع بها العلماء العرب والمسلمون.وندرك أنهم أدركوا قواعد تحقيق المخطوطات قبل أن يتعرف عليها الأوروبيون بزمن بعيد.

وأما التحقيق في عصرنا فلا نجده يخرج عن الفهم الذي فهمه القدماء فهوأيضا:

الضبط والتحرير والمقابلة.

وتحقيق النصوص والمخطوطات والتراث تعني كلها معنى واحدا وهو احترام التراث وإخراجه مضبوطا محررا خاليا من الشوائب،لأن المخطوطات تعرضت لعوامل عدة شوهت صورتها وجعلت بعضها معيبا.

عيوب المخطوطة:

جهل الناسخ بمادة المخطوطة لعدم تخصصه فيها.

ضعف الناسخ في مادتي القراءة والكتابة.

رداءة خط الناسخ ومداده الذي يلطخ الكثير من الكلمات.

البياض الذي يتخلل الكثير من أسطر المخطوطة.

وهذه العيوب أدت بالضرورة إلى ظهورعيوب جديدة ومتعددة في المخطوطة منها:

التحريف.

التصحيف.

النقص.

تداخل العبارات.

ترك بياض.

التقديم والتأخير في الجمل أو الفصول.

النقص الواضح في رسم أدوات الترقيم داخل النص

هذه العيوب التي لحقت بالمخطوطات على الباحثين الآن عبء كبير في إصلاحها حتى تخرج المخطوطات إلى الوجود بعد أن تمر على المطبعة وقد سلمت من كل هذه العيوب التي لاذنب للمؤلف فيها،وإنما جهل الناسخ بمادة المخطوطات أوعدم حفظها في مكان أمين،أوتعرضها لتشويه المغرضين.

صفات محقق التراث: مناقشة ١٠

ليس كل إنسان قادرا على القيام بمهمة تحقيق التراث وإخراج المخطوطات إلى القراء وقد سلمت من كل العيوب،وإنما لابد أن تتوفر في محقق التراث شروط أهمها:

أن يكون عارفا باللغة العربية معرفة وافية.

أن يكون على علم بأنواع الخطوط العربية وأطوارها التاريخية.

أن يكون على دراية كافية بفهارس وقوائم الكتب العربية.

أن يكون عارفا بقواعد تحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

أن يكون ذاثقافة عامة،ومتخصصا في العلم الذي تدور في فلكه المخطوطات

أن يكون أمينا وصبورا،لأن الأمانة في أداء النص صحيحا بلا تزيُّد أونقصان تقتضي على المحقق أ يكون سخيا بالجهد والوقت ،وصبورا على العمل بلا حساب ٥ .ولقد أجمل أبوحاتم بن حيان هذه المعاني بألطف عبارة ـ حين ذكر شروط الإحتجاج برواية الراوي؛في مقدمة المسند الصحيح ــ فكان منها:(الصدق في الحديث،والعقل بما يُحدّث،والعلم بما يُحيل من معاني ما يروى)

قواعد تحقيق المخطوطات

تضم قواعد تحقيق المخطوطات الأمور التالية:

(١)اختيار المخطوطة

(٢)المخطوطات الوحيدة

(٣)مخطوطات المتعددة وترتيب النسخ

(٤)تحقيق النصوص وملحقاتها

أولا:اختيار المخطوطة:

هناك أمربديهي هو أن ليس كل كتاب مخطوط جديرا بالنشر،ولكن بعض الناشرين قد أغفلوا هذا الأمر إما لدوافع تجارية أو لجهل بجدارة المخطوط للنشر

والمخطوط الجدير بالنشر هو ذلك الذي يمثل قيمة أدبية في ذاته،أوقيمة تاريخية عامة أو خاصة. ولذا كان على المحقق ألا يضيع وقته في نشر مخطوطات لا تتحقق فيها هذه الجدارة.

وعندما يعثر المحقق على كتاب جدير بالنشر على أن يتحقق من:

(١)من نسبة الكتاب إلى صاحبه،وذلك بالرجوع إلى كتب الفهارس القديمة مثل كتاب (الفهرست لابن النديم) وكتاب (كشف الضنون لحاجي خليفة)،وإلى ترجمته في كتب التراجم والطبقات والموسوعات،وغيرهامن كتب الأعلام،وفي الكتب التي ألفت في الفن ذاته في العصر الذي عاش فيه مؤلف المخطوط،إذ قد يجد المحقق فيها مايؤكد نسبه ذاك الكتاب إلى صاحبه. الاخضر واجب ٢

وهناك أمر آخر هو أنه لايكفي أن نقرأ عنوان الكتاب لنثبت من أن المخطوط الذي ننوي نشره يمثل الكتاب الذي يحمل عنوانه، بل علينا أن نعود إلى من نقلوا عن المخطوط لنتأكد من أن نص المخطوط هو ذاته الذي يحمل ذاك العنوان.

وعندما تنعدم الدلالات الخارجية للمخطوط يمكننا أن نلجأ إلى الدلالات الداخلية وذالك بدراسة الأسلوب،ففي أسلوب المخطوطة دلالة على كاتبها وإن لم تكن دلالة قطعية

(٢) يجب أن نتأكد من أن المخطوطة التي ننوي نشرها تمثل الكتاب كاملا.

ويمكننا التأكد من ذلك بالرجوع إلى حالة المخطوطة ودراسة النص،ومقدمة المخطوطة،ففي المقدمة كثيرا ما يذكر المؤلف خطة الكتاب، فإذاوجدنا أن الكتاب قد انقطع قبل تمام خطته كان ذلك دليلا على النقص١

المحاضرة الخامسه

المخطوطات

ثانيا: المخطوطات الوحيدة:

سؤال نطرحه دائما على أنفسنا:هل يجوز الاعتماد على مخطوطة وحيدة في التحقيق؟ والجواب نعم.إذا عثر المؤلف على نسخة بخط المؤلف، وهذا نادر جدا.

وفي هذه الحال يجب أن نبحث إذا كان المؤلف قد ألف كتابه على مراحل أودفعة واحدة، لنتأكد من أن النسخة التي بين أيدينا هي آخر صورة كتب المؤلف بها كتابه.وفي الواقع أن كثيرا من المؤلفين يخرجون تأليفهم أول الأمر على شكل،ثم يزيدون فيها أوينقصون منها،فلا بد أن ينتبه المؤلف إلى ذلك وأن يشير في أثناء مسلكه في التحقيق.

ويمكن الاعتماد أيضا على مخطوطة وحيدة ولو لم تكن بخط المؤلف إذ ا كانت على حظ كبير من النفاسة،وذلك بأن تكون قد قرئت على المؤلف أوعلى أحد تلاميذه أو تكون قريبة العهد من المؤلف،أو أن تكون جيدة المراجعة والضبط. وللنساخ المدققين علامات مخصوصة تدل على المراجعة يعرفها المحققون٢

ثالثا: المخطوطات المتعددة وترتيب النسخ

يعثر المحقق في أكثر الأحيان،على أكثر من مخطوطة للكتاب الواحد،وفي هذه الحال عليه أن يقارن بين مخطوطاته وأن يبين النسخ الأصلية والنسخ التي نقلت عنها،وعليه أن ينشر نسخة الأصل ولا يستعين بالفروع المنقولة منها إلاحيث يقع في نسخة الأصل خرم أو تشويه. وإذا تعددت الأصول وجب عليه أن يثبت في الهامش ما بينها من اختلاف في القراءات على أنه تبقى هناك دائما مواضع مشكلة في النص،إما لتلف أوتمزيق أصاب بعض كلمات المخطوطة وإما لخطأ أو سهووقع من الناسخ وإما لسبب آخر غير هذين،وهنا لابد للمحقق من أن يعتمد على ذكائه وثقافته وعلمه باللغة في إقامة النص،بشرط أن يكون هدفه دائما إعادة النص إلى حالته التي خرج عليها من يد مؤلفه،لا تصحيح لغته أو معانيه.وعليه أن يشير دوما في الهامش إلى الإختلافات أوالنقص والتشويه

ويمكننا أن نرتب النسخ بحسب مراتبها على الشكل التالي:

(١)أحسن نسخة تعتمد للنشر نسخة كتبها المؤلف نفسه فهذه هي الأم.

(٢)تأتي بعدها نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه، وأثبت بخطه أنها قرئت عليه.

(٣)ثم نسخة نقلت عن نسخة المؤلف أو عورضت بها وقوبلت عليها.

(٤) ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف عليها ملاحظات علماء ذلك العصر.

(٥) ثم نسخة أخرى كتبت بعد عصر المؤلف. وفي هذه الحال تفضل النسخة الأقدم على التأخر،والتي كتبها عالم أو قرئت على عالم.

وهناك حالات قد تعرض على المحقق،فيصادف نسخة متأخرة صحيحة مضبوطة تفضل نسخة أقدم منها فيها تصحيف أو تحريف أونسخة متأخرة جدا نسخت نسخا جيدا عن نسخة المؤلف أوعن نسخة من عصر المؤلف،أوغير ذلك من الحالات الخاصة.وفي كل هذا يجب أيكون هدفنا-.إذا لم نحصل على نسخة المؤلف- الحصول على أقرب شكل للمخطوطة بعيدة عن زمن المؤلف،زاد فيها-على الأغلب- التحريف من أيدي الناسخين.

تحقيق النصوص وملحقاتها

غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحا كما وضعه مؤلفه.

ولكن معظم المحققين لا يكتفون بنشر النص كما جاء على يد مؤلفه،بل يضيفون إلى ذلك أعمالا أخرى ليست من صميم التحقيق ،ولكنها مكملة له، وأهمها:

الشروح والتراجم والفهارس:

أولا: وأما الشروح والتراجم فيختلف مسلك المحققين فيها:

(١)هناك من يكثر من الشرح فيجعل الحواشي ممتلئة بالشروح والزيادات من شرح للأ لفاظ وترجمات للأعلام وتعليقات على ما قاله المؤلف وغير ذلك مما يشغل القارئ عن النص نفسه، وإن كان يريد المحقق من وراء ذلك ألا يكلف القارئ مشقة الرجوع إلى معجم أو موسوعة.

(٢) وهناك من يقل من هذه الشروحات ويكتفي بما أورده المؤلف من شرح لبعض الكلمات أوبترجمة علم لايمكن الوصول إليه في كتب الطبقات إلا بصعوبة.

(٣) والرأي الأرجح أن الإقتصاد في هذه الشروح خير من الإفراط فيها لأن غاية التحقيق إيراد المخطوط كما وضعه المؤلف.والأعمال الأخرى مكملة له وملحقة به وعليه ألا يكون مسرفا فيها لئلا تصبح مملة واسعة١.

ثانيا: الفها رس أو الكشافات:

فلها شأن آخر،إذ تعين القارئ وتيسر له سبل الانتفاع من المخطوطة وما فيها من أعلام وأسماء أمكنة وغير ذلك.

(١) ففهرس الأعلام أ أداة ضرورية للانتفاع بالمخطوطة أو بأي كتاب قديم أو حديث كبير،لذلك يخصص المحقق في نهاية المخطوطة أو أي كتاب آخر كبير فهرسا أو كشافا لأعلام الأشخاص،و آخر لأسماء القبائل وهكذا...

وهذا تيسير حسن.وقد أجاد المستشرقون بوضع هذه الفهارس والكشافات لبعض الكتب القديمة التي قاموا بنشرها فسهل الرجوع إليها.

(٢) وفي نهاية دواوين الشعراء وكتب المختارات والكتب التي اشتملت على أخبار الشعراء ككتاب الأغاني مثلا يجب أن يحتوي أيضا على كشاف لأوائل القصائد أو المقطوعات مرتبة على حسب القوافي، وهذا الكشاف مفيد في تسهيل الرجوع إلى بيت من الأبيات أو قصيدة من القصائد والتحقق منها.

(٣) وإذا تعددت الموضوعات والإستطرادات في كتاب قديم ككتب الجاحظ مثلا (الحيوان أو البيان والتبيين) وغيرها لزم إيجاد كشاف يفرز الموضو عات المختلفة من هذا الكتاب.كما فعل(عبد السلام هارون) في تحقيقه لكتب الجاحظ .فنجد في آخر جزء من كتاب الحيوان كشافا للموضوعات التي تتعلق بالحيوان،وكشافا ثانيا لموضوعات البلاغة،وكشافا ثالثا للمعارف العامة وهكذا...٢.

إن هذه الكشافات ضرورية للتحقيق، وقد كانت كتبنا القديمة خالية منها،وأصبحنا اليوم،با لإهتداء إلى الطرق الجديدة في التحقيق والتي سار عليها أكثر المستشرقين. نعير، اهتمامنا مما جعل كتبنا القديمة المحققة تحقيقا علميا سهلة المتناول تعين القارئ على الرجوع إلى مضانيها بسرعة ويسر

وهناك أمور أخرى في التحقيق يجب أن نعيرها اهتمامنا.وهي وإن كانت من صلب التحقيق،فإن بعضها يعد من ملحقاته وهي:

(١)كل مخطوط أو كتاب قديم ينشر نشرا علميا لابد أن يحتوي في مقدمته على وصف للمخطوطات التي رجع إليها المحقق،نميز المخطوطات المعتمدة في التحقيق.

(٢) إذا كانت المخطوطة كتبها المؤلف بخطه،وهي التي نسميها (أما) كما ذكرنا سابقا فنثبتها كما هي.

(٣) أما إذا كانت النسخ مختلفة،فتقابل النسخ لنصل إلى نسخة تختار لتكون أما ويثبت نصها،ويشار في الهامش إلى اختلاف النسخ أي اختلاف الروايات في كل لفظة.

(٤) عند اختلاف الروايات يثبت في المتن ما يرجح أنه صحيح بعد دراسة يقوم بها المحقق لكل رواية ويو ضع في الهامش المحرف والخطأ...إلخ.

(٥) عند وجود زيادة في نسخة من النسخ لاتوجد في النسخة المعتمدة فتضاعفت إلى النسخة المعتمدة إذا تحقق للناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليس من الناسخ ويشار إلى ذالك في الهامش.

(٦) إذا كان المؤلف نقل نصوصا من مصادر ذكرها فتعارضت هذه النصوص على أصولها ويشار في الهامش بإيجاز إلى ما فيها من زيادة ونقص كأن يقال: هذاالنص في كتاب كذا باختلاف في النص،أوبزيادة،أو غير ذلك.

(٧) يسمح للمحقق إضافة حرف أو كلمة سقطت من المتن على أن يضع ذلك بين قوسين(أنظر الرموز) كما يستطيع المحقق أن يصحح خطأ وقع فيه المؤلف وكان واضحا أو ناتجا عن سبق قلم أو خيانة ذاكرة على أن يشار إلى ذلك في الهامش

(٨) إذا وجد في المخطوطة خرم (يعني فراغ أو نقص) وكان هذا الخرم أو النقص موجودا في كتاب آخر مخطوط أو مطبوع فيمكن إتمام الخرم ويوضع بين قوسين (طبعا في المتن) ويشار إلى ذلك في الهامش.

(٩) كل إضافة ليست موجودة في المتن الأصلي توضع بين قوسين مركنين يعني هكذا العارضتين وإذا وجدت زيادات أضيفت في جوانب المخطوطة من تنبيه أو تفسير أوغيرذلك، فلا تضاف أبدا على المتن، بل يشار إليها في الهامش فقط.

(١٠) يصادف المحقق في بعض المخطوطات القديمة بعض علامات قد لا يدري معناها مثل: كلمة (صح) توضع فوق اللفظ ومعناها أن اللفظ على ماهو مثبت صحيح وحرف (ص)ممدودة هكذا...(ص) وتسمى (ضبّة) أي علامة التمريض وهذا يعني أن اللفظ الذي وضع الحرف فوقه مرض أو خطأ او علة٣.

وللنساخ المدققين علامات مخصوصة أخرى تدل على المراجعة منها الحرفان (مر) في الحاشية،ومنها وضع نقطة داخل دائرة الجمل،وغير ذلك مما يلجأ إليه النساخ ويعرفه المحققون

الأقواس والرموز وما يتعلق بأدوات التر قيم(*)

الأقواس والرموز:

(١) < >القوسان المزهوان يحصران الآيات القرآنية.

(٢) (( )) الشولتان أوعلامات التنصيص وتحصران النص المنقول حرفيا عن مؤلف آخر،كما تحصران أسماء الكتب إذا وجدت في النص.

(٣) - - الخطان القصيران ويحصران الجمل المعترضة.

(٤) \\ الخطان العموديان ويحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية مخطوطة غير النسخة المعتمدة.

(٥)[ ] القوسان المركنان ويحصران ما يضاف بصورة عامة إلى النص من نقول وإضافات ليست من النص الأصلي أو ما يضاف من عناوين جديدة.

(٦) ( ) هذان القوسان داخل النص يحصران وجه الورقة المخطوطة.كما يحصران ظهر الورقة المخطوطة أيضا ،فيكتب للوجه مثلا: (٢٣أ) ويكتب للظهر(٢٤ب).كما يحصران ماسقط سهوا من المتن،مثل حرف أوكلمة،وصحح المحقق.

ويرمز إلى كل نسخة من نسخة المخطوطة بحرف،يؤخذ من اسم صاحبها،أومن اسم المكتبة التي وجدت فيها أو من اسم البلد الذي فيه المكتبة.

علامات الترقيم ووظائفها

أولا:في التعريف:

أدوات الترقيم،رموز اصطلاحية،توضع في النص وفق قواعد محددة يتطلبها التواصل بين المتكلم والسامع مع في الأداء الشفهي،وبين الكاتب والقارئ في النص الكتابي.وأي سوء في استعمال هذه الرموز،أوفي فهم غرضها،من قبل الواضع أو المتلقي يسبب التباسا أو اضطرابا في فهم مضمون النص،موضوع التواصل.

التحقيق في النصوص الحديثة

هناك كتب طبعها الناشرون ناقصة عن أصلها لأسباب مختلفة سياسية أو أدبية أواخلاقية أوتجارية بحتة.

وليست الرقابة وحدها تفعل ذلك ولكن أحيانا الناشرون كما ذكرت...وهناك أيضا أعمال لمؤلفين حديثين لم ينشروها وطوروها لأسباب عديدة منها ماهو سياسي ومنها

يقول بعض الدارسين بالإكتفاء بما هو موجود وبما اطلع عليه القارئ،ولكن من الإنصاف للبحث العلمي أن نقول إنه يجب العودة إليها والبحث عما هو ناقص منها.

لأن حقيقة الكاتب وحقيقة الزمن الذي عاش فيه لاتعرفان إلا بقراءة آثاره كاملة وتامة.ولا يكفي أن نقرأ بعض الآثار الناقصة،لا يكفي أن نقرأ الآثار (المطهرة) لنقدم صورة صحيحة عن الكاتب.

وهناك من الناشرين،من ينشرون بعض الطبعات ويحذفون منها مالا يروق لهم أو مالا يروق للذوق العام ولا سيما تلك الآثار الحديثة التي تمس الأخلاق.ولكن يجب على المحقق والدارس أن يعود إلى الآثارالتامة ليعرف الصورة الحقيقية لكاتب النص أو مؤلف الكتاب.

وهناك مشكلة أخرى،وهي اختلاف الطبعات فثمة طبعات أصابها البتر والتلف،كما أصابها التشويه،فماذا يفعل الباحث أمام هذه الطبعات المختلفة؟ عليه أن يبحث عن الطبعة التي طبعت بمعرفة المؤلف ويبحث عنها قبل البتر أو التشويه ويبين الأخطاء فيها ويعتمد السليم منها ويشير إلىذلك في مكانه عند التحقيق،ثم يبني بحثه على الطبعة أو القراءة السليمة التي اعتمدها.ونحن نعلم مافي ذلكمن جهد ومشقة.

ومهما يكن من أمر فإن الأساس التي ينطلق منها المحقق أوالباحث هي:فحص الوقئع التاريخية والمناخ العام السياسي والإجتماعي والثقافي والأدبي الذي كتب فيه الأثر،والعودة إلىالمصادر والمراجع وحسن استخدامها.

وهذان الأمران يسميان(بالدراسة الخارجية)،ثم هناك أمرثالث وهو العودة إلى النص وتفهمه بكل أبعاده اللغوية والبلاغية والجمالية وهو(ما يسمى بالدراسة الداخلية).

وعن طريق هاتين الدراستين المتلازمتين يصل الباحث إلى الدراسة المنهجية المفيدة التي تؤدي إلى البحث الجيد المطلوب.

ولابد في كل ذلك من أنيبدأ الباحث أو المحقق باستشارة المصادر والمراجع- كما قلنا – والعودة إلى النصوص الأصلية التي يعتمد عليها الباحثون.

وهناك كما أشارنا مراجع عامة يبدأ الباحث منها خطواته وهي كالموسوعات المتخصصة ومافي حكمها من كتب الأدب الواسعة،وكتب التراجم وكتب الفهارس،أي(البيبلوغرافات) ولاسيماالبيبلوغرافات الحديثة،وإن كانت قليلة،وقد صدر منها في بعض المو ضوعات- حتى يستوفي البحث أسبابه ويخرج سليما من كل شبهة- وذلك بحسب ما تسمح به طاقة الباحث وجهده ومقدرته الأدبية واللغوية.

يتضح مما سبق أن منهج البحث الأدبي يقوم على تحقيق النص أو على قراءته محققا،وعلىفهمه لغويا وأدبيا وإماطة اللثام عن ظروفه التاريخية،والإحاطة بدلالاته المختلفة من اجتماعية ونفسية وفلسفية لنص،من خلال دراسته وحل رموزه إلى فهم مايمثله من إبداع أدبي وموقف إنساني.

ولعل دراسة هذه الدلالات،ولا سيما الجمالية منها،تقع على عاتق الأدباء والنقاد أكثر مما تقع على عاتق المحققين.

==========

المحاضرة السادسة

فرع السيرة والمغازي

السيرة والمغازي :

أدى الاهتمام بجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منذ القرن الأول للهجرة إلى توفر مادة تاريخية غنية جداً تتعلق بسيرة الرسول والغزوات التي اشترك فيها والسرايا التي بعث بها ، وقد استخلص بعض الذين عنوا بجمع هذه الأحاديث تاريخ الرسول منذ ولادته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى من تلك الأحاديث التاريخية التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض المناسبات. وذلك لأنه عليه السلام كثيراً ما أشار في أحاديثه إلى ولادته وطفولته ونشأته وإلى الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في مكة.

هذا فضلاً عما أورده الرسول بإسهاب في أحاديثه عن بعثته ومقاومة قريش الشديدة لها وهجرتي المسلمين إلى الحبشة ويثرب ومغازيه وانتشار الإسلام في جزيرة العرب وغير ذلك من الأخبار التي تناولت جميع نواحي حياته منذ ولادته إلى وفاته .

ولم يجد من حاولوا استخلاص تاريخ أو سيرة الرسول من أحاديثه كبير عناء في تقسيم سيرة الرسول إلى مراحل ثلاث صنفوا في أولاها جميع الأحاديث التي تعرضت لحياته صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى مبعثه . وجعلوا في الثانية الأخبار (المستقاة من الأحاديث) المتعلقة بحياة الرسول في مكة بين بعثته وهجرته إلى يثرب بعد أن يئس من استجابة قريش لدعوته وبعد أن أمعن رؤساء قريش في اضطهاد المستضعفين من المسلمين ونكلوا بهم نكالاً أليماً . أما المرحله الثالثة فقد اقتصرت الأحاديث التي جمعت فيها على أخبار حياة الرسول منذ هجرته إلى يثرب واستقراره فيها وتأسيسه الدوله العربية الإسلامية التي شملت في حياته جميع مناطق شبه الجزيرة العربية بعد أن انتشر الإسلام في ربوعها ، وانتهت أخبار هذه المرحلة الثالثة بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .وسواها من مدن العرب .

ولم يجد المؤرخون المحدثون (وهو اللقب الذي نرى وجوب إطلاقه على علماء الحديث الذين اهتموا باستخلاص سيرة الرسول ومغازيه من أحاديثه وهم الذين ندعوهم حالياً مؤرخي السيرة والمغازي) كبير عناء في قصر اهتمامهم على الأحاديث المتعلقة بسيرة الرسول ومغازيه وذلك لأن علماء الحديث كانوا مهدوا الطريق أمامهم وعبدوها أثناء قيامهم بدراسة أحاديث الرسول وتبويبها وتنسيقها وتصنيفها ، لا بل فإن هؤلاء العلماء انتقوا طائفة من الأحاديث جمعوها في باب واحد دعوه باب المغازي والسير أدمجوا فيه الأحاديث الموثوق بصحتها والتي يمكن للمؤرخ الأعتماد عليها في دراسته لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم والأحداث التي تمت في عهده . هذا ويجب ألا تفوتنا الإشارة إلى أن هذه الأحاديث التاريخية بعد أن جمعت وأخذ المؤرخون المحدثون أي مؤرخو السيرة والمغازي يهتمون بها ، لم تهمل من قبل علماء الحديث في الفترات التالية بل وإلى هؤلاء عنايتهم بها بدليل إننا نجد أن علماء الحديث في القرن الثالث الهجري قد احتفظوا بهذه الأحاديث التاريخية في كتبهم التي وضعوها .

ونذكر على سبيل المثال "كتاب المغازي " (وكتاب هنا بمعنى باب مستقل) في مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، و"كتاب المغازي" في صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ و"كتاب الجهاد والسير" في صحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ وهي بصورة أكيدة شاملة الأحاديث التاريخية المتعلقة بحياة النبي. وثمة ملاحظة جديرة بالتنويه بها وهي إن أولئك المؤرخين المحدثين ، وهم مؤرخو السيرة والمغازي ، لم يبدؤوا التآليف التي وضعوها عن سيرة الرسول ومغازيه بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما استهلوا كتبهم بعرض نبذة موجزة عن أخبار العرب في جاهليتهم أي قبل الإسلام . هذا فضلا عن أن بعض هؤلاء المؤرخين لم يقصروا في التوطئات أوالمقدمات التي وضعوها لكتبهم على أخبار العرب في الجاهلية بل تناولوا بإيجاز تاريخ البشرية والأنبياء منذ خلق الله آدم عليه

السلام إلى ولادة محمد عليه السلام ، كما تعرضوا في مقدمات كتبهم هذه إلى شذرات من أخبار الأمم والشعوب المجاورة وتلك حال علم من أعلام مؤرخي السيرة والمغازي في الإسلام وهو محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥٢هـ

وقدم مؤرخو السيرة أخبار العرب في جاهليتهم وأخبار الأنبياء والأمم المجاورة عن الأخباريين الذين نخص بالذكر منهم كعب الأحبار ووهب بن منبه ، أو عن بعض المعمرين من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولاسيما عبيد بن شرية الجرهمي . وكان جل اعتماد ابن إسحاق في القسم الأول من كتابه عن سيرة الرسول على وهب بن منبه . هذا إلى جانب ما نقله مؤرخو السيرة والمغازي في هذا القسم الأول من كتبهم عن أخبار اليهود والنصارى سواء من اعتنق منهم الإسلام أم الذين بقوا على دينهم الأول ، كما نقل بعضهم عن الكتب القديمة (من دينية سماوية أوغيرها) مباشرة .

وقد غلب أسلوب الأخباريين ، وهو أسلوب القصص التاريخي على ماذكره مؤرخو السيرة والمغازي في مقدمات كتبهم وهو نفس الأسلـوب الذي كان شائعاً لرواية أيام العرب في الجاهلية . وقصارى القول أن هذا القسم الأول الذي استهل به مؤرخو السيرة والمغازي تآليفهم عن حياة الرسول مشوش مفكك لارابطة تجمعه . ولم يلجأ هؤلاء المؤرخون إلى تنقيح أخبار هذا القسم وتمحيصها ونقدها وتجريحها لمعرفة صحيحها من مدسوسها كفعل علماء الحديث أثناء دراستهم وتصنيفهم لأحاديث الرسول عامة بما فيها الأحاديث التاريخية التي تعنينا هنا . وكانت النتيجة المباشرة لعدم قيام مؤرخي السيرة والمغازي بنقد ما وصل إليهم من أخبار ما قبل الإسلام المتعلق بعرب الشمال وبالعرب العاربة والبائدة والأخبار المتعلقة بالأمم الأخرى أن تدنت منزلة مؤرخ السيرة والمغازي في المجتمع فصار كالأخباري لا يتمتع بالتقدير والاحترام اللذين يتمتع بهما كل من المحدث والفقيه .

ولعل ما ذكره ابن النديم(١) بصدد كلامه عن محمد بن إسحاق يعطينا فكرة جلية عن أسباب مطاعن بعض رجال الحديث على هذا العلم من إعلام تاريخ السيرة والمغازي من مما لا يخرج في معظمه عن إهمال مؤرخي السيرة أن ينقدوا الأخبار التي ضمنوها القسم الأول من الكتب التي وضعوها . وقد قال ابن النديم في ذلك ما نصه : ".. ويقال كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعراء ، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتابه أهل العلم الأول ، وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه .."

ويمكن أن نستنتج من الحوار الذي جرى بين الأمام أبي حنيفة وتلميذة أبي يوسف قاضي قضاة الرشيد ، والذي نورده نقلا عن ابن خلكان أن المجتمع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث لم يكن يحبذ لجوء عالم الفقه الذي يقتصر عمله عادة على استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة إلى تكريس وقته وجهوده لطلب الأخبار . فرأينا أن أبا حنيفة قال لتلميذه أبي يوسف ، بعد انقطاع هذا الأخير فترة عن درس أستاذه لأنه مضى ليستمع إلى المغازي من ابن إسحاق "بلهجة يشوبها شيء من التقريع واللوم" : "يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟".

وقد ذكرنا أن سبب تدني منزلة مؤرخي السيرة والمغازي في المجتمع الإسلامي في المدينة وغيرها من أمهات المدن الإسلامية عن منزلة المحدثين والفقهاء هو إهمالهم نقد ما ذكروه في مقدمات كتبهم عن السيرة من أخبار الجاهلية وغيرها أما عندما كانت روايتهم للأخبار لا تتعدى حياة الرسول فقد كانوا لا يتمتعون بتقدير سام في ندوات سراة المسلمين في المدينة . ومن قبيل ذلك ما أورده المستشرق الألماني يوسف هوروفيتس أثناء كلامه عن محدث وفقيه المدينة المشهورة في القرن الأول سعيد بن المسيب ابن زوجة المحدث الشهير أبي هريرة حيث قال : " لأن سعيداً يستحق الوقف عنده قليلا في هذا المقام ، إذ ينبغي نشكره لقوله القيم بأن المغازي كانت موضوعاً محبباً للحديث في مجتمع إشراف المدينة ، فهو يقول كما في الطبري : " بينا نحن عند مروان بن الحكم (وقد علق هذا المستشرق على ذلك بقوله : ومن الواضح أن ذلك كان زمن ولاية مروان على المدينة ، وربما كان عام ٥٥هـ) إذ دخل حاجبه ، فقال : هذا ابو خالد حكيم بن حزام . قال : ائذن له . فلما دخل حكيم بن حزام ، قال :مرحباً بك ،يا أبا خالد ، ادن ،

فحال له مروان عن صدر المجلس ، حتى كان بينه وبين الوسادة ثم استقبله مروان ، فقال : حدثنا حديث بدر . قال : خرجنا ... "وكذلك فعل عبد الملك بن مروان بعد أن صارت إليه الخلافة ، فكان يسأل كبار التابعين عن أخبار بدر ".

جرت عادة العلماء الذين درسوا مؤرخي السيرة والمغازي الذين عاشوا إلى منتصف القرن الثالث الهجري أن يصنفوهم في طبقات ثلاث جاعلين رواد مؤرخي السيرة والمغازي في الطبقة الأولى وأهم هؤلاء الرواد أربعة هم : أبان ابن عثمان بن عفان (المتوفى سنة ١٠٥هـ) ،وعروة بن الزبير بن العوام (المتوفى حوالي سنة ٩٢هـ) ، وشرحبيل بن سعد (المتوفى سنة ١٢٣هـ) ،ووهب بن منبه (المتوفى سنة ١١٠هـ) .

وقد أشاروا أيضاً إلى مؤرخي الطبقة الثانية من مؤرخي السيرة وقد بلغ عددهم ثلاثة هم : عبد الله بن بكر بن حزم (المتوفى سنة ١٣٥هـ) ،وعاصم ابن عمر بن قتادة (المتوفى سنة ١٣٠هـ)، ومحمد بن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤هـ) .

وشملت الطبقة الثالثة سبعة من المؤرخين هم : موسى بن عقبة (المتوفى سنة ١٤١هـ) ، ومعمر بن راشد (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ، ومحمد بن إسحاق (المتوفى سنة ١٥٢هـ) الذي روى عنه إثنان هما : زياد البكائي (المتوفى سنة ١٨٣هـ) ، وابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨هـ) . ومن بين مؤرخي هذه الطبقة الثالثة من مؤرخي السيرة : محمد بن عمر الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) ، وتلميذه محمد بن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠هـ) .

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع رواد التأليف في السيرة والمغازي كانوا من الموالي غير العرب اصلا لكنهم لم يقتبسوا في هذا الفرع من فروع التاريخ الإسلامي أي شيء من تواريخ شعوبهم الأصلية فنشأ علم السيرة والمغازي علما عربيا أصيلاً لم تدخله أية مؤثرات أجنبية فكان كما ذكر عنه المستشرق البريطاني جب : " بلا شك من وحي العرب " . وهذا ما أورده المستشرق حول هذه المسألة في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية : " ومما هو جدير بالذكر أن جميع المؤلفين في المغازي كانوا من " الموالي " وأن يكن هذا التعبير لا يستتبع حتما حتى في ذلك العهد رجوعه إلى أصل غير عربي فقد كان ابن إسحاق عراقي الأصل حقا لأن جده يسار أسر في العراق سنة ١٢ه (٦٣٣م) ولكن مما يتنافى مع الصواب أن نطلب في النزعة الفكرية التي بعثت ابن إسحاق على وضع مصنفه مؤثرات فارسية حتى لو جاءت عن طريق غير مباشر ، إذ أن الصلات بين تلك النزعة والاتجاه الذي اتجه إلية وهب بن منبه من جهة ثم بينها ومذهب أهل الحديث المدنيين من جهة أخرى تثبت أن تلك النزعة الفكرية كانت بلا شك من وحي العرب كما كانت متصلة بضوابط علم الحديث العربي الصحيح ..)

وأهم مؤرخي السيرة الذين لازالت كتبهم بين أيدينا : محمد بن إسحاق ومهذب سيرته عبد الملك بن هشام الحميري المعروف بابن هشام ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وحافظ علمه من الضياع محمد بن سعد وإن كنا حللنا نصين للواقدي وابن سعد عند الحديث عن مؤرخي الطبقات .

وثمة مؤرخان آخران من مؤرخي السيرة عاش احدهما في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وهو المعروف بابن سيد الناس بينما عاش الثاني في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين وقد غلب علية لقب الحلبي ، وضعا كتابين في سيرة الرسول لم تفقدهما خزانة الكتب العربية في عداد ما فقدته من الكتب القيمة .

أما النص الذي سنحققه وسنحلله فهو لعميد مؤرخي السيرة والمغازي أي ***لمحمد إسحاق .

==========

المحاضرة السابعة

استخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه

(من كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، ج١، ص٢-٩ ،٢٠، ٤٥)

- **عن ابن أبي مريم، قال: حدثنا العرياني، عن أبي عون بن عمرو بن تميم الأنصاري رضي الله عنه، حدثنا سعيد بن كثير، عن عفير بن عبدالرحمن، قال: حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر. وشأن السقيفة، وما جرى فيها من القول، والتنازع بين المهاجرين والأنصار، وبعضهم يزيد على بعض في الكلام، فجمعت ذلك، وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه، متوكئاً على الفضل ابن العباس رضي الله عنهما، وغلام يقال له ثوبان رضي الله عنه، ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله، وقال لغلامه اجلس على الباب، ولا تحجب أحداً من الأنصار رضي الله عنهم، فأحدقوا بالباب، وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم...**

حتى كان اليوم الذي مات فيه رسول الله، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، فأتموا، فقال قائل: يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلي في مقامه، فقال أبوبكر رضي الله عنه: معاذ الله أن نجعله وثناً نعبده، وقال قائل: ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع، حيث دفن إخوانه من المهاجرين والأنصار. فقال أبوبكر: إنا نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا إلى البقيع. قالوا فما ترى يا أبابكر؟ قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: ما قبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه ، قالوا : فأنت والله رضا ومقنع.

وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قد لقي علياً كرم الله وجهه، فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض، فاسأله إن كان الأمر لنا بينه، وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيراً ((فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابسط يدك أبايعك، فقال: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الأمر إذا كان لم يقل ، فقال له علي كرم الله وجهه ومن يطلب هذا الأمر غيرنا؟ وقد كان العباس رضي الله عنه لقي ابابكر فقال: هل أوصاك رسول الله بشيء؟ قال: لا، ولقي العباس أيضاً عمر، فقال له مثل ذلك. فقال عمر: لا. فقال العباس لعلي رضي الله عنه: ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك.

ذكر السقيفة وما جرة فيها من القول

قال: حدثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض، اجتمعت الأنصار رضي الله عنهم إلى سعد بن عبادة، فقالوا له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض. فقال سعد لابنه قيس رضي الله عنهما: إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلاماً لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم، فكان سعد يتكلم، ويحفظ ابنه رضي الله عنهما قوله، فيرفع صوته، لكي يسمع قومه، فكان مما قال رضي الله عنه، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: يا معاشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به قومه إلا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لا يعرفوا دينه، ولا يدفعوا عن أنفسهم ، حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، والمنع له ولأصحابه والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم، وأثقله على عدوكم من غيركم، حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين، فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به.

فأجابوه جميعاً: أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت توليتك هذا الأمر، فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضا. قال فأتى الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه، ففزع أشد الفزع، وقام معه عمر رضي الله عنهما فخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعده، فلقيا أبا عبيدة الجراح رضي الله عنه فانطلقوا رضي الله عنهم جميعاً، حتى دخلوا سقيفة بني ساعده، وفيها رجال من الأشراف، معهم سعد بن عبادة رضي الله عنه فأراد عمر رضي الله عنه أن يبدأ بالكلام وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر رضي الله عنه عن بعض الكلام. فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبوبكر رضي الله عنه وقال له: على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبوبكر رضي الله عنه وانتصب له الناس فقال: إن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع، ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليس قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة. وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم إخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا من سراء وضراء والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمر الله عز وجل ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين رضي الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة ، والله ما زلتم مؤثرون إخوانكم المهاجرين وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم وأبعد أن لا تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل.

. فقال عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبابكر أنت صاحب الغار ثاني أثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر فقال الأنصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم وأنا لكما وصفت يا أبابكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا منكم ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكنا نشفق مما بعد اليوم نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار فإذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبدا. ما بقيت هذه الأمة، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بغضاً، فيشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري ويشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي. فقام أبوبكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحده وهم إذا ذلك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة وإنما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة، فاقرؤوا إن شئتم ((إنكم وما تعبدون من دون الله))، ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله))، وقالوا ((ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى))، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الأولين رضي الله عنهم بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على الشدة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم

، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وإزراء الناس بهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الأرض وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم ،وأنتم يامعشر الأنصار من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم في الإسلام رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل إليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نفتات دونكم بمشورة ولا تنقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم فإنما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطع أموركم ، أنتم أهل الإيواء والنصرة وإليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الأولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم والله ما عبد الله

علانية إلا في بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر وإن أبي القوم سيفان في غمد واحد إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد ميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة. فقام الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار: املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتم فأجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم فإنه دان لهذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيافنا أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف

قال عمر بن الخطاب فلما كان الحباب هو الذي يجيبني، لم يكن لي معه كلام لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فحلفت ألا أكلمه كلمة تسوءه أبداً. ثم قام أبو عبيدة فقال: يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير...

بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال: ثم إن أبا بكر قام على الأنصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال: إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الأمر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا في المال ،وأنت أفضل المهاجرين وثاني أثنين وخليفته على الصلاة، والصلاة أفضل أركان دين الإسلام فمن ذا ينبغي أن يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك أبايعك. فلما ذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عقك عقاق ما اضطرك إلى ما صنعت؟ حسدت ابن عمك على الإمارة؟ قال لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقا لهم. فلما رأت الأوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا إلية المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة،

، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن خضير رضي الله عنه: لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة ، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه فقاموا إليه فبايعوه؟ فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه، فبادروا إلية فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجههم حتى فرغوا من البيعة فقال: فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء قال أبو بكر: أمنا تخاف يا حباب؟ قال: ليس منكم أخاف، ولكن ممن يجيء بعدك قال أبو بكر فإذا كان كذلك فالأمر إليك وإلى أصحابك ليس لنا طاعة قال الحباب: هيهات يا أبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم ....

ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال: ولما توفي أبو بكر وولي عمر وقعد في المسجد معقد الخلافة وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أدنو منك فإن لي حاجة؟ قال عمر: لا .قال الرجل اذاً أذهب فيغنيني الله عنك فولى ذاهباً فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له: ما حاجتك؟ فقال الرجل:بغضك الناس ، وكرهك الناس . قال عمر : ولم ويحك ؟فقال الرجل: للسانك وعصاك قال: فرفع عمر يديه فقال اللهم حببهم إلي وحببني إليهم، قال الرجل: فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب إلي منه....

قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون: شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعني أن أكون في الصف الأول إلا هيبته فكنت في الصف الذي يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فإن رأى رجلا متقدماً من الصف أو متأخراً ضربه بالدرة فذلك منعني من التقدم، قال: فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها، فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فأنه قد قتلني.....

تحليل

لنص يتعلق بـ ((استخلاف رسول الله أبا بكر رضي الله عنه)) و((ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)) و((قتل عمر بن لخطاب رضي الله عنه)) والنص منقول من كتاب الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم)(٢١٣_٢٧٦)هـ

لقد مكنتنا دراسة هذا النص من إبداء الملاحظات التالية:

يتألف كتاب الإمامة والسياسة من جزأين يقعان في (٤٢٩) صفحة من القطع المتوسط وكانت آخر طبعاته التي أنجرتها مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.

هناك خلاف بين المؤرخين حول نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة حيث يعتقد بعضهم أنه لمؤرخ مجهول نسبه لذلك العالم الكبير ونظن أن مرد شك هذه الفئة إلى عدم إيراد محمد بن إسحاق النديم في الفهرست (ص١٢١_١٢٢) لاسم هذا الكتاب بين قائمة الكتب التي ألفها ابن قتيبة وذلك عند كلامه عنه. وايضا فابن خلكان نفسه لم يشر إلى هذا الكتاب عند حديثه عن ابن قتيبة (جـ/ ٢ص٢٤٦-٣٤٧)

وكتب المختلفة كما وأن المستشرق بروكلمان عند كلامه عن ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الأول ص ٢٦٠-٢٦٢) لم يشر بدوره إلى هذا الكتاب أيضاً. ويغلب على الظن أن سبب إغفال بروكلمان لذكر هذا الكتاب بين كتب ابن قتيبة لأن كتب التراجم المعروفة لم تثبته ضمن كتب ابن قتيبة. ويبدو أن ابن خلكان الذي عاش في القرن السابع (٦٠٨- ٦٨١هـ) نقل عن ابن النديم الذي توفي في نهاية القرن الرابع (توفي سنة ٣٨٥هـ). فبما أن ابن النديم (وهو أقرب إلى زمن ابن قتيبة فهناك قرن واحد وإحدى عشرة سنة بين وفاة الاثنين) لم يذكر هذا الكتاب لذلك لم يشر إليه ابن النديم.

أما نحن فلا نميل إلى ترجيح كون الكتاب من تأليف ابن قتيبة على الرغم من أنه أولاً متفق مع أسلوبه في باقي كتبه المعروفة كعيون الأخبار والمعارف وأدب الكتاب والشعر والشعراء. وثانياً لأن المؤلف عرض فيه الحوادث التاريخية بصورة سطحية دونما تعمق في دراستها وهذا هو هدف ابن قتيبة من سائر كتبه التي كان يريد بها تبسيط الثقافة وجعل كتبه لعامة الكتاب أي أن تحوي ما لا يسمح لأحد منهم بجهله. ولم يخف أسلوب ابن قتيبة القائم على تبسيط الثقافة على من درسوا هذا العالم فقال المستشرق بروكلمان عنه في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية (المجلد ، ١ص ٢٦١) بصدد دلك مانصه: ((وقد حاول أن يجعل اللغة والشعر وخاصة ما جمعه منهما نحويو الكوفة، وكذلك الأخبار (وكانت تشكل مادة التاريخ) في متناول الذين يعملون في الحياة العامة (الموظفون) ويرغبون في التعلم وخاصة ((الكتاب)) الذين بدأ يكون لهم شأن في تصريف أمور الدولة في ذلك الوقت...))

وكان ابن قتيبة قد أبدى أسفه لما آلت إليه حال الكتّاب (وكانت كلمة الكتّاب لا تطلق في العصر الأموي إلا على الوزير بينما صارت في العصر العباسي تطلق على الوزراء وكبار موظفي الدواوين) من جهل وظهر ذلك في مقدمته على أحد كتبه وهو ((أدب الكاتب)) (ص: ٨-١١) حيث قال: ((فاني رأيت كثيراً من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطؤوا مركب العجز وأغفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغية بغير آلة ولعمري كان ذلك فاين همة النفس؟ وأين الأنفة من مجانسة البهائم؟ وأي موقف أخزى

لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه (أن ذلك الخليفة هو المعتصم أما وزيره المراد هنا فهو أحمد بن عمار _ وكان من قبل طحاناً _ الذي وزر له بعد وزيره الأول الفضل بن مروان) وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً وفي الكتاب ((مطرنا مطراً كثير عنه الكلأ)) فقال له الخليفة ممتحناً له: وما الكلأ؟ فتردد في الجواب وتعثر لسانه، ثم قال: لا أدري (وهنا قال الخليفة لمن حضر مجلسه: إنا لله وإنا إليه راجعون خليفة أمي وكاتب عامي- وذلك لأن المعتصم نفسه كان قليل الثقافة بعكس أخيه المأمون وابنه الواثق). فقال: سل عنه ومن مقال آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه ((حاضر طيّئ)) صفحة تصحيفاً أضحك منه الحاضرين (إن ذلك الخليفة هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم وقد قرأ عليه شجاع بن القاسم كاتب القائد التركي أوتامش هذا الكتاب فقال: حاضر طي عوضاً عن حاضر طيء)....

((فلما أن رأيت هذا الشأن (أي ثقافة الكتّاب) كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظاً من عنايتي وجزءاً من تألفي فعملت لمغفل التأديب (أي لناقص الثقافة) كتباً خفافاً في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفيته من التطويل والتثقيل لأنشطه لتحفّظه ودراسته....)).

فهذه الغاية التي رسمها ابن قتيبة لنفسه وهي تأليف كتب خفيفة في كل فن هي ما عبرنا عنه بقولنا محاولة تبسيط الثقافة وكتاب الإمامة السياسة يتمشى إلى حد ما مع هذه الغاية فهو عرض بسيط أخبار الخلفاء منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية خلافة الرشيد. وهكذا فإن ابن قتيبة الذي كان ولي القضاء في مدينة دينور وعاد لممارسة التدريس في بغداد ساءه أن لاحظ ركود سوق العلم وتدني ثقافة موظفي الخلافة العباسية في فترة نفوذ الأتراك (٢٣٢_ ٣٣٤هـ) وتسلطهم على شؤون الدولة وسيطرتهم على خلفائها فأخذ على عاتقه تأليف تلك ((الكتب الخفاف)) التي لا تصعب دراستها على موظفي الدولة وبما أن الكتاب الذي بين أيدينا يتمشى مع هذه الغاية ولا يختلف كثيراً عن أسلوب ابن قتيبة في كتبه الثانية التي أجمع المؤرخون على نسبتها إليه لذلك كله نرجح أن يكون هو نفسه مؤلف كتاب الإمامة والسياسة أي كتاب تاريخ الخلفاء. ومع ذلك فهناك أدلة بالمقابل لا مجال لذكرها هنا تجعلنا لا نجزم إن كان كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة أو لكاتب آخر.

إننا نلاحظ من استعراضنا لقائمة كتب هذا المؤلف أنه علم من أعلام الفكر في القرن الثالث وأنه كان ملماً بسائر العلوم وقد ألف فيها فهو أشبه بمعاصريه الجاحظ وأبي حنيفة الدينوري وسواهما من حيث أن كتبهم تناولت معارف عصرهم فهم من زمرة من يطلق عليهم عادة لقب الكتاب الموسوعيين أو الكتاب الانسيكلوبيديين الذين زخر بهم تاريخنا.

إن لغة النص سهلة ليس فيها غريب أو كلمات عويصة وذلك لأن ابن قتيبة كان كما أشرنا يتوخى جعل تاريخ الخلفاء _ وسائر علوم عصره_ بمتناول قليلي الثقافة .إنه والحالة هذه لم يؤلف لمن ينشدون التعمق والتخصص في علم من العلوم ولكنه تعرض في كل علم إلى ما لا يسمح لأحد بتركه وجهله.

لقد شرح لنا ابن قتيبة في صدر البحث طريقته في معالجة الموضوع فقال (ص٢-٣) ما نصه: ((عن ابن أبي مريم: قال: حدثنا العرياني عن أبي عون بن تيم الأنصاري رضي الله عنه وحدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم)) ... (ثم أورد المؤلف الأخبار التي نقلها).

فهذه الطريقة في تدوين أخبار التاريخ – أي متن الرواية – تعتبر مرحلة جديدة لم يلجأ إليها مؤرخو القرن الثاني. وسنرى كيف كانت طريقة هذا المؤلف في تأليفه. وما هو موقفة من القواعد التي كان مؤرخو القرن الثاني كابن إسحاق ومهذب سيرته ابن هشام والواقدي وكاتبه محمد بن سعد قد تقيدوا بها كلها أو ببعضها عند تأليف كتبهم. إن ابن إسحاق وهو من مؤرخي سيرة الرسول ومغازيه – تقيد بأسلوب المحدثين من حيث رواية السند وذكر اختلاف

السند وإن كان ثمة خلاف فيه بين الرواة وذكر المتن – والمتن هو الخبر أي الحادث التاريخي _ وإيراد الروايات المختلفة للحادث الواحد إن كان هناك اختلاف بين رواته.

==========

المحاضرة الثامنة

استكمال تحليل النص

- **أما الواقدي فلم يتقيد بذلك الأسلوب تقيداً تاماً فأخذوا عليه في بعض الأحيان عدم إثباته اختلاف الروايات والاكتفاء برواية واحدة. (كما أخذوا عليه مراجعته للصحف المدونة أي الكتب ونقله الأخبار عنها بينما لا يصح للمحدث أن ينقل حديثاً إلا أن يكون قد سمعه من راويه) وقد جعل ذلك الخلاف بين الواقدي والمحدثين الواقدي هدفاً للانتقادات اللاذعة التي وجهها له المحدثون لأنهم كما ذكرنا جرحوه ولم يعتدوا بقوله ولم يثقوا بروايته.**

بينما عاد محمد بن سعد إلى التقيد بأسلوب المحدثين وقد غالى كثيراً في أخذه بنفسه بالأسس إلي وضعها هؤلاء لتدوين كتب التاريخ ولئن كان من السهل على المؤرخين أن يتقيدوا بأسلوب المحدثين يوم كان البحث مقتصراً على تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه فأن من الصعب جداً أن يطبق المؤرخون ذلك الأسلوب في أبواب التاريخ الأخرى، لذلك كان كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد حتى في قسمه الثاني المتعلق بأخبار الصحابة والتابعين أقرب إلى كتاب في الحديث منه إلى كتاب في التاريخ وهذا يولد الملل في نفس القارئ.

فكيف وقف ابن قتيبة وهو أول مؤرخينا في القرن الثالث (٢١٣-٢٧٦هـ) من تلك الأزمة التي أدت إلى انقسام المؤرخين في القرن/٢ على أنفسهم فئة حبذت طريقة الواقدي وأخرى آثرت عليها طريقة تلميذه ابن سعد)؟ فمما لا يقبل الشك (وهذا ما رأيناه في نص ابن قتيبة نفسه) أن ابن قتيبة رجح طريقة الواقدي لا بل رأيناه يتساهل أكثر من الواقدي في قضية الاختلاف في نص الرواية التاريخية فكان الواقدي في حالة وجود خلاف بين الرواة حول نص الخبر يكتفي بذكر اختلاف الأسانيد ثم يذكر رواية واحدة للخبر أي متناً واحداً أما ابن قتيبة فقد ذكر أنه إن لاحظ اختلافاً بين رواة الخبر قارن بين الروايات المختلفة وجمعها وسبكها وصاغها في قالب جديد وهذا ما عناه بقوله: ((وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم)).

ومن الضروري أن نلاحظ أن ابن قتيبة مضى بعيداً في محاولة الخروج على طريقة المحدثين في رواية المتن أي الخبر التاريخي فإنه صار يكتفي أثناء سرده أن يشير في حاشية الصفحة إلى الاختلاف بين الرواية التي يسردها والرواية الأخرى بكلمة أو بجملة هذا أن وجد خلافاً بين الرواية التي اعتمدها في كتابة والرواية الأخرى ومن قبيل ذلك ما ورد (ص٧) أثناء رواية المؤلف لمعارضة أحد زعماء الأنصار وهو الحباب بن زيد بن حرام انتخاب أبي بكر للخلافة فقال: ((فقام الحباب بن المنذر بن زيد حرام رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم فإنما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير (وهنا ذكر المؤلف في حاشية الصفحة: في رواية: ولن يجترئ مجترئ) على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ...)) فلو تقيد ابن قتيبة بأسلوب المحدثين لكان وجب عليه أن يكمل الرواية الأولى التي أثبتها وبعد أن ينتهي منها يذكر السند الثاني (أي الراوي أو الرواة الآخرين) ثم يورد نص الرواية التي وجد فيها: ولن يجترئ مجترئ.

إنه عاد إلى ذلك في الصفحة الثامنة عند إثباته رد عمر بن الخطاب على الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال يا معشر الأنصار: املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما

سألتم فأجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيافنا (وقد ذكر المؤلف في حاشية الصفحة: في رواية: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله الخ...) أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة...)).

كما لجأ إلى نفس الطريقة في الصفحة التاسعة عند ذكره ((بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه)) قال: ثم إن أبا بكر قام على الأنصار فحمد الله وأثنى عليه،ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال: إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر (وذكر في حاشية الصفحة ويروى: فقالت الأنصار _ وهو خطأ مطبعي زيادة لا موضع لها في النص وصوابه فقال أبونكر _ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أنه سيصيبنا بعده أثرة .منا الأمراء ومنكم الوزراء وهذا عمر وأبوعبيدة فبايعوا من شئتم،...).

لكن تلك الإشارات في حواشي الصفحات إلى اختلاف الروايات حول كلمة أو حول جملة كف عنها ابن قتيبة عندما انتهى من سرد أخبار تتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبانتخاب خليفته الأول أبي بكر وقد لاحظت أن الكتاب الذي يتألف من جزأين يضمان (٤٢٩) صفحة نادراً ما أثبت فيه المؤلف تلك الحواشي المشيرة إلى اختلاف متون الروايات فهو يكاد يكون خلواً منها.

وتساعد هذه الطريقة القائمة على الاكتفاء بالإشارة إلى اختلاف الروايات في حواشي الصفحات على اختصار حجم كتب التاريخ لاسيما وأن تلاميذ الواقدي عندما طلبوا من شيخهم ألا يجيء بالأسانيد مختلفة والمتن واحداً فاعتذر عن هذا بأن الأمر يطول فقد روي أنه لما طالبه تلاميذه بذلك جاءهم بغزوة أحد في عشرين مجلداً لما اتبع طريقة أفراد كل حديث بسنده فاستكثروا ذلك وقالوا: ردنا إلى الأمر الأول.

وسنرى عند دراستنا لغزوة الخندق كما وردت في نص الطبري أنه اكتفى بعدم التمسك كثيراً بهذه الطريقة (إيراد الأسانيد المختلفة والمتون المختلفة) لأنه لو فعل لجاء كتابه في ثلاثين ألف ورقة كما قدر له فلما عدل عنها لم يتجاوز كتابه الثلاثة آلاف صفحة.

وهكذا فإن اكتفاء ابن قتيبة ببعض الإشارات إلى اختلاف الروايات دون إثباتها بكامل نصها جعل كتابة الإمامة والسياسة صغير الحجم مع تضمنه أخباراً كثيرة هذا ويجب ألا تفوتنا الإشارة ونحن في معرض الكلام عن هذه الطريقة التي يعتبر ابن قتيبة من روادها الأوائل أنها هي التي غلبت على المؤرخين منذ ذلك العصر إلى أيامنا هذه فمؤرخونا الآن يشيرون إشارات فحسب إلى اختلاف الروايات دون أن يثبتوها فهذا ما يتعلق بموقف ابن قتيبة من المتن أي الخبر ومخالفته طريقة المحدثين في إيراده

لم يقتصر تساهل ابن قتيبة على المتن بل تساهل كذلك في إيراد الأسانيد المختلفة إن كان الحديث لا يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم أو باجتماع سقيفة بني ساعدة الذي أدى إلى انتخاب أبي بكر ،أما إن كان الموضوع متعلقاً بهما فإننا نراه يثبت السند ومن قبيل ذلك ما ذكره (ص٢): ((عن ابن أبي مريم قال: حدثنا العرياني عن أبي عمرو بن تيم الأنصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبدالرحمن ((كما ذكرنا خبر السقيفة بسند ابن عفير (ص٤): وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري رضي الله عنه)) لكنه عندما تعرض لبيعة أبي بكر (ص٩) لم يذكر أي سند بل أورد الخبر مباشرة ((قال: ثم أن أبا بكر قام على الأنصار...)) أي قام ليخطب فيهم إنه كذلك لم يرو أي سند عند تعرضه (ص٢٠) لذكر ولاية عمر بن الخطاب فأورد النص مباشرة دون إيراد سند قال: ولما توفي أبو بكر وولي عمر وقعد في المسجد مقعد الخلافة...)) ولنلاحظ أن فعل القول (قال) الذي يثبت غالباً في مطلع الفقرات ليس معناه الرواية عن راو أن الراوي يقول، ولكن جرت العادة ان يملي المؤرخ كتابه على تلاميذه فيذكر التلميذ في مستهل الفقرات: قال شيخنا أو أستاذنا (ثم يذكر اسم المؤلف نفسه) أو قال فحسب دونما إشارة إلى اسم المؤلف لكن ابن قتيبة عاد (ص٢١) عند حديثه عن مقتل عمر بن الخطاب فذكر اسم راو واحد للخبر فقال: ((قال عمر بن ميمون: ((شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن)) غير أن ابن

قتيبة لم يذكر هنا السند كاملاً لأنه لا يعقل أن يكون ابن قتيبة الذي عاش في القرن الثالث (٢١٣- ٢٧٦هـ) قدر روى عن شاهد عيان رأى مقتل عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ. فهذا السند الذي ذكره ابن قتيبة هو ما يقولون عنه: السند المنقطع أما إن أثبت المؤرخ أو المحدث كل من رووا الخبر أو الحديث متسلسلين حتى الراوي الأول فيقال لسنده اذ ذاك: السند المرسل أو المتصل.

هكذا فإننا نلاحظ إيضاً أن ابن قتيبة لم يتشدد في إتباع أساليب المحدثين حتى في مسألة إصرارهم على ذكر السند متسلسلاً مرسلاً إلى الراوي الذي روى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى شاهد العيان الذي رأى الحادث بأم عينه أو روى الخبر عمن رآه لا بل نراه كثيراً مالا يثبت أي سند في مطالع فقراته.

لقد رأينا من دراسة هذا النص الشروط التي كان الصحابة يشترطونها فيمن رووا أحاديث رسول الله. فقد لا حظنا (ص٤) عند إيراد ابن قتيبة لخبر خلاف فئة من المسلمين حول المكان الذي يجب أن يدفن فيه الرسول صلى الله علية وسلم فقال بعضهم بدفنه في مصلاه وقال آخرون ندفه في البقيع (مقبرة المدينة) وقد روى ابوبكر للحاضرين حديثاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: ما قبض نبي إلا دفن جسده حيث قبض روحه)) فقالوا: فأنت والله رضا ومقنع)) ومعنى ذلك أن الصحابة كانوا يشترطون في راوي الحديث أن يكون مرض الخلق وألا يكون معروفاً بالكذب.

أما من حيث أسلوب ابن قتيبة اللغوي فهو قوي جداً ومرسل لا سيما وكان هذا المؤرخ من أساطين اللغة في عصره.

ويتجلى في سرد المؤرخ للأخبار الواردة في النص الحياد التام وهذا مما عرف عن ابن قتيبة.

ليس في النص أي نقد علمي خاصة وأن المؤرخ لم يرو عدة روايات ليرجح إحداها على الأخرى

==========

المحاضرة التاسعة

نص من كتاب تاريخ اليعقوبي (منتخب من الجزء الثاني ص ١٥٨- ١٨٠) وهو يتعرض لمقتل عمر بن الخطاب وخلافة كل من عثمان وعلي بن أبي طالب.

تحليل

نص مقتل عمر بن الخطاب وخلافة كل من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب منقول من كتاب تاريخ اليعقوبي منتخب من الجزء الثاني ص ١٥٨-١٨٠.

عاش المؤرخ اليعقوبي في القرن الثالث وتوفي حوالي نهايته. وكان معاصرا للطبري ولكل من أبي حنيفة وابن قتيبة الدنيورين.ومؤرخنا من المؤرخين العامين لكنه ليس من مؤرخي الحوليات كالطبري إنما سلك طريقا وسطا بين مؤرخي الحوليات ومؤرخي السلالات فكان يكتفي أن يؤرخ بأيام الخلفاء الذين تحدث عنهم.

انفرد اليعقوبي بميزة لم نلاحظها حتى الآن عند المؤرخين الذين حللنا نصوصهم باستثناء أبي حنيفة الدينوري ألا وهي كونه عالما علامة في العلوم الدنيوية وذلك لان معظم المؤرخين الذين حللنا إلى ألان نصوصهم غلب عليهم الاختصاص في العلوم الدينية من فقه وتفسير وفرائض الحديث الخ... أما مؤرخنا اليعقوبي فقد أجاد في علم الفلك إلى جانب كثير من العلوم الدنيوية الطبيعية فحق لنا أن نصنفه في زمرة المؤرخين الانسيكلوبيديين أي كعلماء دائرة المعارف لا يقتصر اختصاصهم على علم واحد إنما يجيدون عدة علوم طبيعية في الوقت نفسه. ويتناول مؤرخنا اليعقوبي في نصه استشهاد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب

وسنحلل ألان النص:

أولا- من حيث الأسلوب اللغوي:إن هذا النص ولاسيما ما ورد منه على لسان الخلفاء الراشدين المشار إلى اسمائم انفا هو قطعة أدبية رائعة من النثر الفني لصدر الإسلام. ففي القسم الأول منه نجد الحوار الذي جرى بين عمر بن الخطاب وعبدالله بن العباس وهو يمثل لنا نثر بلغاء مخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وان يكن هذا النثر قد تأثر بأسلوب القران والحديث من حيث انه مرسل لا اثر للصنعة فيه. على حين كان اغلب نثر الخطباء والبلغاء في الجاهلية. إما نصنا فهو جزل الكلمات لا اثر لتعقيد فيه. وعلى الرغم من قرب عهد النثر بالجاهلية فان الإسلام قد صقله إذ كان اقرب إلى لغة الحاضرة منه إلى لغة البادية. انه كلام فصيح ومن روائع وجوامع الكلم بدون أن يكون عويصا. وان الناثر بأسلوب القران باد في النص باجلى معانيه ويتجلى هذا التأثر في عدة نواح، ومنها:

الامتناع عن إيراد الشعر تلك العادة التي درج عليها معظم المؤرخين خاصة وان المتحاورين كانا عالمين دينين، هما الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وعبدالله بن عباس احد العبادلة الذين انتهى إليهم العلم الديني في صدر الإسلام: انظر إلى روعة هذا التركيب وروعة التشبيه في قول عمر: قال غص غواص ، وان كنت لتقول فتحسن. أي ضع النقاط على الحروف فانك الغواص الخبير وأظن أن عمر لم يترك في هذا التركيب زيادة لمستزيد . وانظر إلى قوله أيضا عندما لم يجد ابن عوف كفئا للخلافة: ((ذاك رجل ممسك ، وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف ومانع في غير إقتار. وعند حديثه عن طلحة قال عنه: ((ذاك رجل يناول للشرف المديح يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره وفيه بأو وكبر (تكبر وصلف وفخر))) إن هذا النص هو من الناحية اللغوية عبارة عن لوحة فينة رائعة لفنان عبقري. أنه وصف فأبدع ذلك التردد وتلك الحيرة التي كانت قد أخذت على عمر تفكيره لنمو حسبة بالمسؤولية فهو يريد أن يكون من ينتخبه للخلافة أهلاً لها وعلى الرغم من موافقتة لابن عباس حول أخلاق عليّ وأن هذا الأخير أحسن من توسد إليه الخلافة ولو كان حديث السن بالنسبة لغيره فإنه استمر في حيرته وتردده رغم محاولة ابن عباس أن يقنعه بقوة بيانه حينما قال له: ((وأين يتبعد من ذلك (أي كيف يقصى عن الخلافة) مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه؟ قال (أي عمر) وهو والله كما ذكرت ولو وليهم تجملهم على منهج الطريق فأخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصالاً: الدعابة في المجلس واستبداد الرأي والتبكيت للناس مع حداثة السن قال قلت: يا أمير المؤمنين هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ خرج عمرو ابن عبد ود وقد كعم (كعم البعير أي شد رأسه وهنا بمعنى انزوى أو ابتعد) عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطا ولا سبقتموه بالإسلام إذ كان جعلته السعب وقريش يستوفيكم)). ثم قال عمر في آخر الحوار: ((والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشاً لا تحتمله ولئن وليهم ليأخذنهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة ولئن فعل لينكشن بيعته ثم ليتحاربن...)).

وبصورة عامة إن معاني النص القوي ولغته متأثرة بأسلوب صدر الإسلام ولا عجب فإن اللغة قد أسلست لكل الأشخاص الواردين في النص قيادها فملكوا أزمامها وناصيتها ونخص بالذكر منهم كلا من عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب. لغة النص فصيحة جزلة لا أثر للركاكة فيها ولو كانت أقرب إلى لغة المدن والحواضر منها إلى لغة الوبر والبوادي وقد اعتبر الخليفتان الراشديان الثاني والرابع بحق من أمراء البيان العربي.

ثانياً- من حيث الأسلوب التاريخي: وجدنا المؤرخ تقيد بأسلوب رجال الحديث من حيث إثارة الروايات المنقولة بالسماع على النقل عن الصحف المدونة أما فيما عدا هذه الناحية فالنص فيه خلاف صريح لجميع قواعد رجال الحديث ومع ذلك فليس بوسعنا أن ندعي أن اليعقوبي قد جرح من قبل رجال الحديث لا سيما وقد ذكرنا من قبل أن رجال الحديث بدؤوا منذ نهاية القرن الثالث الهجري ينهون من شططهم وغلوائهم ويخففون من تشددهم هذا إن لا حظوا أن الغاية التي نشدها من وراء فرض وصايتهم على تدوين التاريخ وهي أن يكون المؤرخون أمناء في النقل عن مصادر قد تأمنت فنظراً لأن اليعقوبي كان الى حد بعيد جداً أميناً في النقل أضف الى ذلك أنه لم يدون كتابه في

بغداد نفسها مقر نفوذهم وسلطتهم هذا فضلاً عن ملاحظتهم أن اليعقوبي انفرد بمزايا قل أن شاركه فيها سواه فقد أفاد منه قراء العربية في الوقوف على ما أورده عن تاريخ كل من الفرس والصين والشعوب الأخرى لدرجة أن النقدة قد روا ما أورده اليعقوبي عن تواريخ هذه الأمم حق قدره لكل ذلك تساهلوا معه في مخالفته لأسلوبهم بعد أن ارتضوا أمانته في النقل.

فإذا استعرضنا النص وجدنا المخالفات الجريئة لأسلوب رجال الحديث ففي الفقرة الأولى من الصفحة الأولى وجدنا سنداً مقطوعاً عن ابن عباس ولم نجد سوى متن واحد. أما في الفقرة الثانية فلم نجد سنداً بالمرة أو على الأقل إشارات إلى أسانيد مقطوعة: ((فقيل له في ابنه عبدالله بن عمر قال: حسب آل الخطاب ما تحملوا منها ...((كما وجدنا إشارة الى سند مقطوع في مطلع الفقرة الثالثة من أيام عثمان بن عفان حيث ورد ((وروى بعضهم أن عثمان خرج من الليلة التي بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة...)).

واذا تأملنا في الفقرة الثانية من أيام عثمان بن عفان وفي الفقرة الأولى من خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب نلاحظ ورود إشارة فلكية لم يكن لنا عهد من قبل عند المؤرخين الذين حللنا نصوصهم إلى الآن فجاء بصدد خلافة عثمان ما نصه: ((وخرج عثمان والناس يهنئونه وكان ذلك يوم الاثنين مستهل المحرم ٢٤ هـ وعلى شهور العجم تشرين الآخر وكانت الشمس يومئذ في العقرب ثلاث عشرة درجة وزحل في الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً والمشتري في الجدي أربع درجات واربعين دقيقة والمريخ في الميزان خمسين دقيقة والزهرة في العقرب إحدى عشرة درجة راجعاً والرأس في الثور أربعا وعشرين درجة...)).

كما ذكر هذه التفصيلات الفلكية بالنسبة لخلافة علي فقال: ((واستخلف علي ... يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ومن شهور العجم في حزيران وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء ستا وعشرين درجة وأربعين دقيقة والقمر في الدلو ثماني عشر درجة وأربعين دقيقة وزحل في السنبلة خمساً وعشرين درجة والمريخ في الجدي سبع درجات)) فهذه التفصيلات الفلكية عن الأبراج والنجوم السيارة لا عهد لنا بها من قبل.

ثالثاً- من حيث شخصية المؤرخ:

إن المؤرخ صاحب النص هو بصورة عامة مسلوب الشخصية لم يتدخل في النص بصورة سافرة ولو أن ثمة بعض الإشارات في هذا النص يمكن أن تنير سبيلنا في معرفة بعض زوايا من شخصية المؤرخ صاحب النص.

بالنظر لعدم وجو أسانيد مرسلة في النص فإنه لا يمكننا تحديد الفترة الزمنية التي عاش خلالها المؤرخ وهي بالنسبة لنصنا مقتل عمر بن الخطاب وخلافة كل من عثمان وعلي بمعنى ان هذه الفترة هي ما بين سنتي ٢٤-٤٠ هـ فلفقدان الأسانيد في النص ليس بوسعنا أن نحدد الفترة التي كان المؤرخ صاحب النص يعيش أثناءها.

إنه على الرغم من عدم ذكر المؤرخ أسانيد مرسلة بمعنى أنه لم يذكر المصادر التي نقل عنها أخباره فإن مؤرخنا صاحب النص باستثناء بعض الهنات التي سنذكرها والمتعلقة بغلبة الميل الشيعي عليه أمين في النقل إلى أبعد حدود الأمانة وذلك لمقارنتنا الصيغة التي اعتمدهما المؤلف وهي المتن بالصيغ التي وردت في كتب ثقات المؤرخين.

يظهر من النص أن صاحبه مؤرخ شيعي متطرف فعلى الرغم من أننا نعترف بتلك المساوئ التي كانت في خلافة عثمان لكن خلافته لم تكن كلها مثالب ونقائص. أما المؤرخ صاحب النص فكان شديد الحرص على ألا يذكر سوى أخطاء عثمان كأنه لم يجد له حسنة له ليذكرها.

وقد اوضح النص ميول صاحبه الشيعية منذ البداية فإننا وجدناه يضع عنواناً لخلافة عثمان: أيام عثمان بن عفان بينما ذكر بالنسبة لخلافة علي: خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فالمؤرخ الحيادي يساوي بينهما في النعت واللقب فإما أن يقول أيام عثمان وأيام علي أو يقول أمير المؤمنين عثمان وخلافة أمير المؤمنين علي...

المستعرض للفقرات التي أورد المؤرخ صاحب النص فيها حياة عثمان يلاحظ حرصاً أكيداً من المؤرخ على أن يصور لنا عيّه وأنه لم يكن يجيد الخطابة لنقارن ذلك بما عرف عن فصاحة عليّ، إننا نلاحظ أيضاً حرصه على إظهار عثمان وقد أوجد بدعة لا عهد للمسلمين بها. كما أورد ما دار بين نفر من أنصار علي هم المقداد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود إنه صور إيضاً ضعف عثمان كخليفة وكيف أنه آوى إليه طريد الرسول وهو الحكم ابن أبي العاص وأنه عزل عمراً بن العاص عن مصر وولاها أخاه لأمه عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

وصفوة القول لم يفرط المؤرخ صاحب النص في إيراد أيه ملاحظة من شأنها تصوير عثمان بهيئة الخليفة الضعيف الذي استبد أهله بالأمر من دونه وسيطروا عليه وتصوير عليّ بهيئة الخليفة العادل الذي لم يكن تأخذه في الحق لومة لائم ومع أننا نعترف بكثير من المزايا التي ذكرها المؤرخ لعليّ لكن حرصه الشديد على تسويد صفحة عثمان والإطناب بمآثر عليّ هو الذي يجعلنا نحشره في زمرة المؤرخين الشيعة المتعصبين على عثمان ولعليّ والمبالغين في ذلك.

- إن الإشارات الفلكية من ذكر للأبراج وللنجوم الثابتة والسيارة وتحديد للتطابق بين الاشهر الشمية والقمرية لا تصدر إلا عن عالم ضليع في علم الفلك لا سيما بعد أن مضت فترة على وفاة الخلفاء الذين تحدث عنهم ونحن نرجح أن مؤرخنا صاحب النص لا مكن أن يكون ق اورد هذه الإشارات نقلاً عن غيره من المؤرخين وذلك لأنه لا يورد المصادر ولا الاسانيد المرسلة وخاصة لاننا لم نعرف عن علماء فلكيين عاشوا في القرنين الأول والثاني واهتموا بهذه التحديدات الفلكية. فعلماء الفلك الذين وجدوا في القرن الثاني كإبراهيم الفزاري وأولاد شاكر عنوا بترجمة بعض المصادر الى العربية وبحث مواضيع أعم وأشمل من الاهتمام بتحدد مواضع الأبراج والكواكب عند تولي الخلفاء

رابعاً من حيث حياد المؤرخ:

استنتجنا عند بحثنا لشخصية المؤرخ صاحب النص أنه من المؤرخين المنحازين لجانب علي والمتحاملين على عثمان فإذا استعرضنا نص اليعقوبي عن خلافة عثمان نجد حرصاً شديداً من قبله على إظهار الخليفة بمظهر الضعيف ففي الفقرة الأولى وجدناه يصور علياً بهيئة المتحامل عليه من قبل عبدالرحمن بن عوف ووجدناه في الفقرة الثانية يصور عثمان عيياً لا يجيد الخطبة أو حسب تعبير عثمان نفسه: أنتم إلى إمام عاد أحوج منكم الى إمام يشقق الخطب وفي الفقرة الثالثة يجعلنا نراه قد ابتدع بدعة لا عهد للمسلمين بها من قبله. أما في الفقرة الرابعة فيحرص أشد الحرص عل إظهار تعلق بعض المسلمين بعليّ وأنه ترجيح ابن عوف عثمان عليه يكون قد دفع هذا الامر عن أهل بيت النبي وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم لناس وأفقههم في ين الله وأعظمهم غناء في الاسلام ... والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر التقي وما أرادوا إصلاحاً للأمة ولا صوابا في المذهب... ثم وجدناه في الفقرة السادسة يذكر كيف استقدم عثمان قريبه الحكم بن ابي العاص وكان طريد الرسول. وقد ذكر المؤرخ كيف خلافه عثمان سمح له بالعودة.

كما صور لنا عثمان خليفة قاسياً غير رحيم عندما هدم على أقوام دورهم ليضمها الى المسجد وقد أمر عثمان بحبسهم كما ذكر لنا كيف أن عثمان زوج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس المال الذي ورد الى بيت مال المسلمين من أسلاب فتوح افريقيا وكان عبدالله بن سعد أبي سرح (أخو عثمان لأمه وقد ولاه الخليفة مصر بعد أن عزل عنها عمراً بن العاص) قد ارسل ذلك المال سنة ٢٧ هـ إلى المدينة مع عبدالله بن الزبير كما صور المؤلف عثمان مستهتراً بأموال المسلمين المودعة في بيت المال فقد ذكر أنه زوج ابنته الثانية من عبدالله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب الى عبدالله بن عامر يدفعها إليه من بيت مال البصرة.

كما صور لنا المؤرخ عثمان مستأثراً بأموال بيت مال المسلمين من خلال النقاش الذي احتدم بين الخليفة وخازن بيت المال حيث وضحت لنا وجهة النظر الأمية ألا وهي اعتبار بيت مال المسلمين ملكا للخليفة فقال عثمان لعامل صدقات المسلمين على سوق المدينة: ((إنما أنت خازن لنا فإذا أعطيناك فخذ،وإذا سكتنا عنك فاسكت فقال: كذبت والله ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك إنما أنا خازن المسلمين)).

ونجد أيضا كيف انه يروي محاولة عثمان أن يبايع لعبدالرحمن بن عوف من بعده علماً أن هذا الخبر ضعيف وقل أن وجدنا من ذكره من المؤرخين لكن اليعقوبي أورده ليكون مؤيداً لرأي عليّ عندما قال لابن عوف: ((أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني)).

كما صور المؤرخ عثمان خليفة متعسفاً من خلال سوء معاملته لعبدالله بن مسعود لرفض هذا الأخير دفع مصحفه إلى عامل عثمان عندما جمع هذا الأخير المصحف وكيف أنه رفض قبول وساطة عائشة فيه فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان: بعد ولايته بست سنين وقالوا: آثر القراء وحمى الحمى وبنى الدار واتخذ الضياع والأموال بما الله والمسلمين...))

وقصارى القول أن اليعقوبي لم يورد في دراسته لحياة عثمان سوى الهنات فلم يذكر حسنة من حسناته أما بالنسبة لخلافة عليّ فانه لم يورد سوى شهادات مريدي عليّ وشيعته كثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وصعصة بن صوحان ومالك ابن الحارث الأشتر وعقبة بن عمرو وكلهم ذكر أن علياً أحق بالخلافة من ثلاثة الخلفاء الذين تقدموه وعلى العموم تجلى في النص ميل المؤرخ اليعقوبي إلى جانب عليّ وتحامله على عثمان ولذا لم يكن حيادياً نما منحاز.

خامساً- موقف المؤرخ من النقد العلمي:

لم يتعرض اليعقوبي إلى نقد المتون التي أوردها في نصفه لا بل إننا نرجح أنه لم يرو في هذا النص الذي أظهر لنا تحيزه إلى جانب عليّ سوى الروايات المتعلقة مع وجهة نظره الخاصة أما من جهة النقد العلي فلم نجد له أثراً في النص لأنه لم يورد روايات (متوناً) متعارضة ليفاضل بينها إنما رغب أن تكون نصوصه على وتيرة واحدة فهي بالنسبة لخلافة عثمان لا تصور سوى الهنات والنقائص والمساوئ وبالنسبة لخلافة عليّ لا تصور سوى العدل وإرجاع الحق إلى نصابه لأنه أحق من يلي شؤون المسلمين **بعد وفاة الرسول.

==========

المحاضرة العاشرة

تحليل

لما أورده الطبري عن غزوة الخندق (ج ٢ ، ص ٢٣٣ _ ٢٤٥)

ومقارنته بما ذكره مؤرخون آخرون عنها .

إن دراسة تلك الغزوة كما وردت في تاريخ الطبري تسمح لنا بالملاحظات التالية

أولا_ إن شخصية محمد بن جرير الطبري هي كشخصية غيره من مؤرخينا الذين سبقوه مسلوبة غير ظاهرة فموقفهم من النص سلبي وينعدم فيما كتبوه النقد أو التحليل أ و المناقشة فهم مجرد نقله فحسب . وهكذا وجدنا هذا المؤرخ يكتفي بإيراد ماسمعه دونما تحليل أو مناقشة . وإن وجدنانفسه أمام روايتين لا تتفقان من حيث المتن رأيناه لا يبدي أي جهد عقلي لترجيح إحداهما على الأخرى بل يكتفي بقوله (كما ورد في ج / ٢ ، ص ٢٤١) : ((فالله

أعلم أي ذلك كان)) وهذا ما سنراه خلال ملاحظاتنا على النص المدروس وهو غزوة الخندق . وكان أول من مؤرخينا ذلك الجهد العقلي المنشود وحلل وناقش الخطيب البغدادي وابن خلكان وياقوت الحموي وعبد الرحمن بن خلدون من مؤرخي القرون الخامس والسابع والثامن الهجرية . وليس في ذلك أي جحود لفضل الطبري فهو شيخ مؤرخينا في القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع (توفي سنة ٣١٠) حيث كان أسلوب علماء الحديث (ويقوم على مناقشة سند الحديث _ أي رواته _ دون الاهتمام بمتنه فإن وثقوا بالسند وثقت الرواية أو الممتن) طاغيا فتأثر الطبري به إلى مدى بعيد .

ثانيا _ وردت تلك الغزوة في الجزء الثاني من كتابة تاريخ الأمم والملوك (طبعة المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٧ – ١٩٣٩ م) في الصفحات ٢٣٣ – ٢٤٥ ، ثم أتم المؤرخ تلك الغزوة بحديثه عن غزوة بني قريظة وإجلائهم عن يثرب (ص : ٢٤٥ _ ٢٥٤) .

ثالثا – ذكر المؤرخ أخبار غزوة الخندق ضمن ما أورده من الحوادث الهامة التي جرت في السنة الخامية للهجرة . ومعنى ذلك أنه من زمرة المؤرخين الذين سردوا المعلومات أو الأخبار التاريخية في كتبهم على أساس طريقة الحوليات وتقوم تلك الطريقة على ذكر الحوادث الهامة التي وقعت خلال عام من الأعوام فإذا ماانتهوا منها انتقلوا إلى العام التالي . أما الحوادث الهامة التي عرضها الطبري والتي وقعت في السنة الخامسة فهي : خبر زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش وكان الرسول قد زوجها من قبل لغلامه زيد بن حارثة الذي طلقها . ثمت تعرض مؤرخنا لرواية ما يتعلق بغزوة الخنق من أخبار . إنه أورد كذلك أخبار غزوة بني قريظة وإجلائهم عن يثرب ، وقد ذكر أخيرا خبر غزوة المريسيع (وتعرف أيضا بغزوة بني المصطلق بناحية خزاعة) . واستغرقت رواية هذه الاخبار كلها أربعا وعشرين صفحة .

هذا ومن الحري بالذكر أن الطبري هو كجمهرة مؤرخينا الإسلاميين لا يحصرون حديثهم بفترة معينة بل هو كما أوردنا من قبل عميد مؤرخينا الذين انصرفوا لمعالجة التاريخ العام بادئين منذ الخليفة وتاريخ آدم عليه السلام حتى زمنهم .

رابعا – إن أسلوب الطبري سهل ولغته فصيحة لا ركاكة فيها ويتجنب في صياغة أفكاره الغريب من الكلام مما يجعل كتابه بمتناول متوسطي الثقافة ومفهوما . إنه كذلك طلي العبارة يتجنب التعقيد ، وواضح المعاني ، مما يدل على أنه كان مالكا لزمام اللغة . وليس في أسلوبه سجع أو غير من المحسنات البديعية إنما كان هذا الاسلوب مرسلا كعادة أدبائنا في القرون الثلاثة الاولى حيث لم يكن النثر الفني قد غزته الصنعة بعد . وما كان يرد في النصوص الأدبية من جناس وطباق وسجع كان يأتي عفو الخاطر وليس متعمدا ولا متكلفا لذلك كان مستساغا لا يمجه الذوق الأدبي السليم

خامسا – إن الأخبار العائد لتلك الغزوة والتي أوردها الطبري مستقاة من ثلاث مصادر :

أ – إنها أولا نص رواية ابن اسحاق وقد وصلت سيرته إلى الطبري (الذي عاش ما بين ٢٢٤ – ٣١٠) بطريقة ابن حميد الرازي وقد روى بدوره عن سلمة بن الفضل أحد تلاميذ ابن اسحاق ، لا بل غهو التلميذ الذي دفع له استاذه ابن اسحاق القراطيس التي دون فيها سيرته ، وابن اسحاق كما مر بنا من مؤرخي القرن الثاني (٨٥ _ ١٥٢ه) .

ب _ أما المصدر الثاني الذي استقى منه الطبري مادته لهذه الغزوة فهو محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ – ٢٠٧) وكان كذلك من مؤرخي القرن الثاني . وقد وصلت روايات الواقدي الى الطبري بطريق سواه مما سنذكره في حينه .

جـ _ والمصدر الثالث للطبري في أخبار هذه الغزوة هو محمد بن بشار أو غيره من الرواة الموثوق بأمانتهم العلمية .

أما في رواية الطبري عن ابن حميد الرازي عن سلمة عن ابن اسحاق فإننا نجد الطبري يثبت نفس السند (الرواة) الذي كان ابن اسحاق ذكره سالكا نفس طريقة المحدثين في إيرادهم للسند قبل ذكرهم لمتن الحديث . ومن قبيل ذلك وجدنا الطبري يورد في صدر البحث ما يلي : ((وفيها (أي في السنة الخامسة للهجرة) كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حدثنا بذلك ابن حميد (ومعناه أن الحميد الرزاي هذا كان معاصر للطبري) قال حدثنا ابن إسحاق وكان الذي جر غزوة رسول الله صلى الله عليه السلام الخندق فيما قيل ما كان من إجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير عن ديار فحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا ... " ثم أورد الطبري نفس رواية ابن إسحاق عن تلك الغزوة كما أثبتها ابن هشام

أما قوله في السند : ومن لا أتهم فكأنه بالنسبة لرجال الحديث قطع السند ، والذي قطعه هنا هو محمد بن إسحاق وليس الطبري فاقتضت الإشارة إلى ذلك .

وعندما يورد الطبري روايات عن محمد بن عمر الواقدي (وقد كانت وفاته قبل سبع عشرة سنة من ميلاد الطبري فتوفي الواقدي سنة ٢٠٧ وولد الطبري سنة ٢٢٤) فإنه يذكر أن روايات الواقدي وصلته من مصدر لم يسمه . ومن قبيل ذلك أننا وجدناه مثلا يقول (ج / ٢ ص ٢٤٣) بعد الإشارة إلى انقطاع نص رواية ابن اسحاق (فحدثت عن محمد بن عمر قال ...) بينما نراه يذكر في حالات ثانية (كما ورد في ج / ٢ ص ٢٤٠) أنه روى عن سفيان بن وكيع عن محمد بن عمر (الواقدي) عن أبيه عن علقمة عن عائشة أم المؤمنين ...

ولا يرقى الشك إلى ما يثبته الطبري من روايات فهو يتحرى الأمانة في النقل . وقد ضبطنا ما أورده عن هذه الغزوة مستقى من نص ابن إسحاق (بطريق سلمة هذا الأخير) وما أثبته ابن هشام عن زياد البكائي عن أستاذه ابن إسحاق (وهو ما وجدناه في سيرة ابن هشام) فلم يجد سوى تغيير كلمتين اثنتين في سائر النص مع العلم أن معناهما واحد ، ولا ندري أيهما وردت في الرواية الأصلية . إن الكلمة الأولى هي فتى وقد جاءت في الطبري (ج / ٢ ص ٢٤٤) في الجملة التالية : " حدثني محمد ابن إسحاق قال حدثنا يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ... " أما ابن هشام فقد أثبتها (ج / ٣ص ٢٥٠) بالصيغة التالية : " قال ابن إسحق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ... " .

والكلمة الثانية التي اختلفت في روايتي الطبري وابن هشام هي يفعلون وقد وردت في الطبري (ج / ٢ ص ٢٤٤) في الجملة التالية : " فقال (الرسول) يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا " .

بينما وردت في سيرة ابن هشام (ج / ٣ ص ٢٥١) كما يلي فقال الرسول : (يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا) .

وثمة روايات أخرى ذكرها الطبري دون نقلها عن ابن إسحاق أو محمد بن عمر الواقدي . وكنا ذكرنا أنه نقل رواية الواقدي إما عن مصدر لم يسمه أو عن محمد بن بشار . غير أنه إلى جانب هذه الأخبار التي ذكر الطبري مصادره فيها ، هناك أخبار ساقها عن محمد بن بشار بسند لا يرقى إلى الواقدي أو إلى ابن إسحاق ، ومن قبيل ذلك ما أورده (ج / ٢ ص ٢٣٥ – ٢٣٦) حيث قال : " فحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا محمد بن خالد بن عثمة قال حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ... " ثم تابع هذا المؤرخ إيراد الأخبار التي وصلته من هذا الطريق وبين فيها دور سلمان الفارسي ، وقد استغرقت رواية هذه الأخبار صفحتين وردتا خلال ما أثبتناه لما جاء في كتاب الطبري عن هذه الغزوة . على حين لا

يتجاوز ما ذكره ابن هشام (أي نص ابن إسحاق) عن دور سلمان الفارسي عدة الأسطر وقد جاء فيها (ج / ٣ ص ٢٣٤ – ٢٣٥) : " قال ابن إسحق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رآني ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي ، فضربت به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : قلت: بأبي أنت وأمي يارسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : "أو قد رأيت ذلك يا سلمان" ؟ قال : قلت : نعم ، قال : " أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق " .

سادساً – إن طريقة الطبري في ذكر أخبار تلك الغزوة وغيرها من الغزوات والأخبار هي طريقة مؤرخي العهود التي سبقت ظهور النقد في كتب المؤرخين منذ القرن الخامس وأهم مؤرخينا الذين لجؤوا إلى النقد في القرن الخامس الخطيب البغدادي ، وفي القرن السابع ابن خلكان وياقوت الحموي . كما استمر النقد في أيام ابن خلدون (عاش ابن خلدون بين سنتي ٧٣٢ – ٨٠٨هـ) أي القرن الثامن الهجري . فطريقة الطبري ومن سبقه هي طريقة المتأثرين بعلماء الحديث الذين لم يكونوا يناقشون الرواية (أي الخبر التاريخي المروي لهم وهو هنا بمثابة متن الحديث) إن وثقوا من أمانة الراوي . فإن وثق ليس ثمة ما يدعو إلى تطرق الشك إلى روايته فهي صادقة بصورة بديهية .

لكن هذه الطريقة محاذير ، فإن وجد مؤرخ كالطبري نفسه أمام روايتين لمؤرخين ثقة فما هو موقفة منها ، وأيهما يرجح ؟ ونسوق على سبيل المثال اختلاف المصادر التي نقل عنها الطبري غزوة الخندق في الرامي الذي رمى سعد ابن معاذ بسهم أصاب أكحله (أحد شرايينه أو أوردته) وسبب وفاته بعيد الانتهاء من حكم سعد في بني قريظة وإجلائهم عن المدينة . وقد أثبت الطبري أولاً نص رواية سفيان بن وكيع عن محمد بن بشر عن محمد بن عمر عن أبيه عن علقمة عن عائشة ، ثم أورد نص الرواية (ارجع إليها في النص المطبوع) : " ... قالت عائشة فرمي سعد يومئذ بسهم رماه رجل يقال له ابن العرقة فقال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار فأصاب الأكحل منه فقطعه ... " .

وإلى الطبري حديثه فذكر لنا رواية ابن إسحاق عن الحادث نفسه (وإن يكن ابن إسحاق أورد نص نفس الرواية عن عائشة بسند آخر أثبته ابن هشام ج / ٣ ص ٢٤٣-٢٣٤) فقال : " حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم " . وقد أضاف الطبري (ج / ٢ ص ٢٤١) بعد إيراده الروايتين الآنفتي الذكر : " فالله أعلم أي ذلك كان " .

أما طريقة الطبري في إثبات عدة روايات تدور حول حادث واحد هي أوثق للأمانة العلمية في النقل ، وذلك لئلا يترك المؤرخ لبساً أو إبهاماً في نفس القارئ أو اعتقاداً أن المؤرخ جاهل للرواية الثانية التي تتعارض مع الرواية التي أثبتها في كلامه فيحمل ذلك منه على الجهل أو على سوء القصد . إننا نعتبر هذه الطريقة (إيراد مختلف الروايات المتعلقة بخبر واحد) ميزة انفرد بها مؤرخون قلائل كان الطبري شيخهم وعميدهم . وليس بخاف أن الطبري قلما لجأ إلى هذه الوسيلة لأنه لو فعل لجأ حجم كتابه أضعاف حجمه الحالي . ويغلب على الظن أن الطبري كان مزمعاً أن يأخذ نفسه بتلك الطريقة بدليل قوله لتلاميذه " أتنشطون لتاريخ العالم منذ آدم إلى وقتنا هذا ؟ فقالوا كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير (ثلاثين ألف ورقة) فأجابوه بمثل ذلك (كانوا أجابوه عندما ذكر لهم أن تفسيره سيستغرق ثلاثين ألف ورقة : هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه) فقال : " إنا لله ، ماتت الهمم " فاختصره في نحو ما اختصر التفسير (ثلاثة آلاف ورقة عوضاً عن ثلاثين ألفاً) " .

وليس أدل على طول الكتب التي يثبت واضعوها الروايات المختلفة لحادث واحد من أن الواقدي عندما طالبه تلاميذه بذلك جاءهم بغزوة أحد في عشرين جلداً وذلك عندما اتبع طريقة إفراد كل حديث بسنده – أي ذكر الروايات المختلفة

بأسانيدها ومتونها – فاستكثروا ذلك وقالوا ردنا إلى الأمر الأول وهو الاقتصار على ذكر الاختلاف في الأسانيد دون التعرض للاختلاف في المتون والاكتفاء بإثبات متن واحد للحديث .

سابعاً – نلاحظ في هذا النص أن الطبري كان ككل المؤرخين المتأثرين بطريقة علماء الحديث يؤثر إيراد الرواية الشفوية ، وهو ما يعبرون عنه بالسماع على إثبات خبر قرأه في كتاب . إنه لم يقل مرة واحدة في كتابه قرأت أو رأيت مع العلم أنه توفر له ما لم يتوفر لغيره في هذا الصدد وذلك لأن ابن إسحاق كان قد دفع قراطيسه التي دون فيها سيرته لتلميذه سلمة بن الفضل الذي روى عنه الطبري . فعوضا من أن يبحث الطبري عن هذه القراطيس آثر أن يسلك سبيل المحدثين وهو ترجيح الرواية الشفوية – أي السماع فروى عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق ولم يكتف بتلاوة ما جاء في قراطيس ابن إسحاق

ونرجح أن إيثاره الأخبار المنقولة بالسماع على الأخبار المدونة في الوثائق كان لعاملين اثنين : أولهما أن الوثائق عرضة للتزيف ، أما الرواية الشفوية فطالما وثق راويها فلا مجال للشك في صحة ما رواه . أما العامل الثاني فهو أن الطبري اتعظ بما وجه المعاصرين من نقد للواقدي . وقد ذكر المرحوم الأستاذ أحمد أمين ذلك فقال : " والظاهر أن مطعن المحدثين عليه (على الواقدي) كمطعنهم على ابن إسحاق ، فلم يكن يتقيد بمذهبهم من ناحيتين إنه يأخذ من الصحف والكتب ، وكان ثقات المحدثين يكرهون هذا كل الكراهية ، ولا يرون أن المحدث يصح له أن يحدث بحديث إلا أن يسمعه بأذنه ممن روي عنه ...) . فإذ اتذكرنا كيف ساءت علاقة حنابلة بغداد بالطبري ، وكيف أنهم هاجموه في داره ولم ينج من بطشهم إلا بتدخل صاحب الشرطة والجند لحماية ، كل ذلك لأنه لم يذكر إمامهم أحمد بن حنبل في عداد الفقهاء المحدثين ، وكيف أن مؤرخنا عدل عن رأيه في ابن حنبل لكل ما ذكر نرجح أنه آثر ألا يغضب الحنابلة من جديد خاصة وكان إمامهم أحمد بن حنبل يعتبر من أقطاب مدرسة الحديث . وهكذا وجدنا مؤرخنا الطبري يتبع في سرده للحوادث طريقة المحدثين (من حيث تفضيلهم النقل بالسماع على النقل عن الصحف المكتوبة) ، ووجدناه دائماً يقول عند روايته لخبر تاريخي : حدثني أو قال أو روى ولم يقل : قرأت أو رأيت أو نظرت .... " .

ثامناً – لم يورد الطبري في كلامه عن غزوتي الخندق وقريظة تلك القصائد والأبيات الكثيرة من الشعر التي أثبتها ابن إسحاق ونقل بعضاً منها ابن هشام . وقد اقتصر ما نقله الطبري منها على سبعة الأبيات قيلت أو تمثل بها بمناسبة تينك الغزوتين . بينما ذكر ابن هشام (٢٧٠) بيتاً من الشعر قيلت في نفس المناسبتين ، مع العلم أن ابن هشام لا يثبت في العادة سوى جزء مما ذكره ابن إسحاق من الشعر وهو الجزء الذي تأكد من صحته .

أما وقد انتهينا من إيراد بعض الملاحظات حول ما ذكره الطبري من أخبار تتعلق بغزوة الخندق فلا مندوحة من الإشارة إلى وجود بعض الخلافات بين ما ذكره هذا المؤرخ وما ذكره مؤرخون آخرون عن هذه الغزوة . ويمكن إيجاز ذلك في الملاحظات التالية

١- هناك خلاف بين كثيرين من المؤرخين حول عدد المسلمين الذين اشتركوا في تلك الغزوة :

فقد ابن إسحاق (كما جاء في سيرة ابن هشام ج / ٣ص ٢٣٥) أن الرسول خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين . و وجدنا هذا العدد كذلك في ابن الأثير (خ / ٢ص ١٢٣) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (ج / ٢ص ٦٦) . أما اليعقوبي (وهو من مؤرخي القرن / ٣) فكان أول الذين خرجوا على جمهرة المؤرخين الآخرين فيما يتعلق بعدد المسلمين في هذه الغزوة فقال في تاريخه (ج / ٢ص ٥٠) : " وكانت عدة المسلمين سبعمائة رجل " وقد ذكر ابن خلدون في كتابه العبر وتاريخ المبتدأ والخبر (ج / ٢ص ٢١٢ ، وابن خلدون كما ذكرنا من مؤرخي القرن الثامن ومطلع التاسع) : " أن الرسول كان في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وقيل في تسعمائة فقط ... " .

وهكذا لم يشذ عن جمهرة ثقات المؤرخين سوى اليعقوبي ، لأنهم أجمعوا على أن الرسول كان في (٣٠٠٠) . أما ابن خلدون فقد أثبت روايتين . ومعنى ذلك أن بين إيدينا ثلاثة نصوص قديمة ذكر معظمها أن عدد المسلمين في

غزوة الخندق (٣٠٠٠) ، وذكر واحد منها أنهم كانوا (٧٠٠) فقط بينما أورد ابن خلدون رقمي (٣٠٠٠) و (٧٠٠) . ونحن لا يسعنا بعد وثوقنا من مؤرخي الفئة الأولى خاصة وأن المعلومات التي يذكرونها في العادة يمكن الركون إليها إلا أن نأخذ برأي هذه الفئة من أن عدد المسلمين في غزوة الخندق كان ثلاثة آلاف . خاصة وأن الرسول عندما خرج للقاء قريش في أحد كان بمعيته ألف ليقاتل يهم ثلاثة آلاف من المشركين ثم انخذل عنه عبد الله بن أبي بن أبي سلول بثلث هذا العدد . أفيعقل بعد أن بلغت الرسول الأنباء أن قريشاً وأحلافها خرجوا في عِشرة آلاف مقاتل أن يهب للقائم على رأس سبعمائة مقاتل ؟ لا سيما وكان المسلمون الذين تخلفوا عن الرسول في المدينة يوم أحد قد ندموا على ما بدر منهم في ذلك اليوم . لهذا لا يعقل أن يتقاعس أحد منهم عن الدفاع عن حمى الإسلام عندما أزفت ساعة العمل بعد وصول جحافل قريش وغطفان ومرة وفزارة وأشجع وسائر الأحزاب إلى قرب المدينة . ولكل ما بيناه نؤثر الأخذ برواية الطبري من أن المسلمين كانوا في غزوة الخندق ثلاثة آلاف مقاتل .

٢- وهناك خلاف بين المؤرخين حول السنة التي وقعت فيها غزوة الخندق :

وقد رأى معظم المؤرخين كابن إسحاق والطبري وكثيرين سواهم أن تلك الغزوات كانت في شوال السنة الخامسة للهجرة .أما ابن سعد تلميذ الواقدي فقد ذكره أن تلك الغزوة تمت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة ٠ ونحن نرى أنه ليس ثمة خلاف بين هذا المؤرخ وأولئك حول التاريخ الغزوة ٠ فمن المحتمل أن يكون ابن إسحاق والطبري أرادا خروج قريش والأحزاب إلى المدينة في شوال .بينما ذكر ابن سعد في طبقاته (ج/٢ص٦٦) أن غزوة الأحزاب في ذي القعدة سنة خمس من مهاجرة صلى الله عليه وسلم ، لكنه عاد (ج/٢ص٦٧) فحدد الزمن بقول: "وفرغوا من حفرة – أي فرغ المسلمون من حفر الخندق – في ستة أيام ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله علية وسلم يوم الأثنين لثماني ليال مضين من ذي القعدة .. فهذا النص لا يمكن أن يكون مخالفاً للرأي السابق ألا هو خروج قريش والأحزاب لحرب المسلمين في شوال ٠ فلما بلغ الرسول خبرهم استشار الصحابة وأشلر عليه سلمان بحف الخندق وبدئ بتنفيذ الفكرة التي راقت للرسول في الثاني من ذي القعدة وانتهي من الحفر في الثامن منه . **

==========

المحاضرة الحادية عشر

استكمال تحليل النص

ويرى اليعقوبي (ج/٢ص٥٠) أن هذه الغزوة جرت في السنة السادسة بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة وخمسين شهراً ... ونظراً لعدم ذكره مصدره في هذا الخبر نرد رأيه ونرجح علية آراء ابن إسحاق والطبري وابن الأثير والمسعودي وكلهم جعلنا في السنة الخامسة .

أما ابن خلدون فقد ذكر في تاريخه (العبر وديوان والمبدأ والخبر ،ج/٢ص ٢١٢) ما يلي : " غزوة الخندق .كانت في شوال في السنة الخامسة . والصحيح أنها في الرابعة ،، ويقويه أن ابن عمر يقول : " ردني رسول الله صلى الله علية وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ، ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة " فليس بينهما إلا سنة واحدة وهو الصحيح . فهذا الحديث يجعل الجزم في أمر التاريخ الذي جرت فيه غزوة الخندق أمراً صعباً .

٣- هناك خلاف بين الطبري من جهة وابن إسحاق من جهة أخرى حول مسألة حفر الخندق : مناقشة ١٣

وقد أورد الطبري (/ ٢٣٢) روايته عن محمد بن بشار عن محمد بن خالد ابن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن المزني عن أبيه ، ثم أورد الرواية التي كنا نذكرها ، أما حديث حفر الخندق كما ورد في ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق فقد كنا ذكرناه من قبل في هذه الملاحظات.

٤- وثمة خلاف بين المؤرخين حول المحاولة التي أراد بها الرسول تفريق الأحزاب :

وقد مر بنا أن اتفاقاً أو شك الرسول أن يبرمه مع زعيمي غطفان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري على أن يرجعا ولهما ثلث ثمار المدينة . فابن هشام (ج / ٣ص ٢٣٩) أورد نقلاً عن ابن إسحاق أن الرسول اتفق مع قائدي غطفان على أن يرجعا مقابل تنازل المسلمين لهما عن ثلث ثمار المدينة . وقد أقر الطبري ذلك (ج / ٢ص ٢٣٨) (فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ...) . وأورد ابن الأثير (ج / ٢ص ١٢٤) نفس النسبة (أي الثلث) . وكذلك وجدنا في طبقات ابن سعد (٢ص ١١١) – نفس النسبة وهي الثلث - . لكن ابن خلدون انفرد في تاريخه (ج / ٢١٢) بقوله : (ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلث ثمار المدينة) ونظروا لأنه لم يذكر المصدر الذي نقل عنه تلك النسبة (الثلثين) لذلك لا يمكن أن تقبل رأيه خاصة وكان ابن خلدون قد عودنا أن ينقل أخباره عن القرون الثلاثة الأولى عن تاريخ الطبري .

٥- هناك خلاف بين المؤرخين حول الجملة التي قالها سعد بن معاذ عندما أصيب أكحله بسهم ابن العرقة :

وابن العرقة هو كما ورد ابن الأثير (ج / ٢ص ١٢٤ – ١٢٥) حبان ابن قيس بن العرقة بن عبد مناف من بني هصيص بن عامر بن لؤي ، والعرقة أمه وإنما قيل لها العرقة لطيب ريح عرقها. فلما رمى ابن العرقة سعداً بن معاذ بسهمه قال له خذها وأنا ابن العرقة . فابن إسحاق والطبري ومعظم المؤرخين يرون أن سعداً بن معاذ أجابه لما أصيب بسهمه (عرق الله وجهك في النار) . أما ابن سعد (ج / ٢ص ١١٠) فقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي قال لابن العرقة (عرق الله وجهك في النار) . ومهما يكن فإن تضارب أقوال المؤرخين حول هذه المسألة لا يتيح لنا أن نجزم فيها بصورة قطعية .

٦- هناك خلاف بين المؤرخين حول مدة بقاء الأحزاب محاصرين للمدينة :

فالطبري (ج / ٢ص ٢٣٨) يرى أن الحصار دام قريباً من شهر " بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر " . أما اليعقوبي فقد أورد (ج/ ٢ص ٥٠) مانصه : " وكانت الحرب على ماروى بعضهم ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة ولا مبارزة . واتصلت في اليوم الثالث حتى فاتت صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة " .

وقد أدت مراجعتنا لغزوة الخندق في المصادر المشار إليها إلى عثورنا على اختلافات أخرى ثانوية غير جوهرية . كانفراد اليعقوبي بذكره (ج / ٢ص ٥٠) أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل للخندق بعد انتهاء المسلمين من حفره واشتراك الرسول معهم في الحفر أبواباً وعليها حراس من كل قبيلة فقال : " ... فحفر الخندق وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون إليه ، وحفر رسول الله معهم حتى فرغ من حفر الخندق وجعل له أبواباً وجعل الأبواب حراساً ، من كل قبيلة رجلاً ، وجعل عليهم الزبير بن العوام وأمره إن رأى قتالاً أن يقاتل ... " . إننا لم نجد للقسم الأخير من هذا الخبر ذكراً إلا في هذا المصدر .

وبصورة عامة مهما كان هناك من خلاف بين ما أورده الطبري وبين ما ذكره سواه عن هذه الغزوة وعن غيرها من الحوادث التاريخية العائدة لثلاثة القرون الأولى من الإسلام فليس من شك في أنه يعتبر بحق شيخ أو عميد مؤرخينا وأن من أتوا بعده كانوا عالة عليه في أخبار تلك القرون الثلاثة .

٧- أما بالنسبة لحياد المؤرخ ونزاهته :

فنقول إن النص الذي حللناه وهو غزوة الخندق لا يساعد على معرفة ميل المؤرخ . أفيعقل أن يميل الطبري وهو المؤرخ المسلم الذي لم تشده إلى خصوم الرسول والمسلمين في فترة هذه الغزوة أية عصبية أن يميل إلى جانب قريش وغطفان وغيرهما من الأحزاب واليهود ضد الرسول والمسلمين ؟

لكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن الطبري كان بصورة عامة في طليعة مؤرخينا المحايدين والبعدين عن الأهواء والميول . فمع أنه نشأ في بيئة غلب عليها التشيع فإن النزاهة كانت رائده فيما أورده عن علائق العلويين بكل من الأمويين والعباسيين ، وكان هذا المؤرخ دائماً مضرب المثل في الحياد والتجرد والنزاهة لم يحاب ذا مال أوسلطان ولم يتزلف لأحد .

فتك المنصور بأبي مسلم ودواعيه
نصّ منقول من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي
(ج/٣؛ص٣٠١_٣٠٥)

موجز للحادث التاريخي :

قام أبو مسام الخراساني بدور حاسم وفعّال ونجح بدهائه في التمهيد لقيام الدولة العباسية . لكن جرت عادة الملوك ورؤساء الدول ألاّ يرضوا بأن تكون لأحد دالّة عليهم أو أن يعتبر هذا الشخص نفسه علّة وجود تلك الدولة . وهذا بالفعل ما بدأ يظهر على أبي مسلم منذ تولّى الخلافة أوّل خليفة عباسيّ وهو أبو العباس السفّاح (١٣٢ – ١٣٦هـ) . إنه لمن المبالغة جحود أهميّة الدور الذي قام به أبو مسلم والجهود الجبّارة التي بذلها حتى نجحت الدعوة العباسية لاسيما في فترة حرجة من تاريخها عندما انتقلت من الفترة السريّة إلى الفترة العلنيّة وذلك حوالي سنة ١٢٩هـ . ويُظنُّ لأوّل وهلة أن الخليفة العباسيّ الثاني أبا جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ) بقتله أبا مسلم ، أو بالأحرى بإيعازه بقتله يكون كافأه على أياديه التي طوّق بها عنق العباسيّين بالجحود . فكأنه والحالة ما ذكرنا جزاه جزاء سنّمار . لكن إن دققنا في الأمر مليّاً نجد أبا مسلم تصرّف منذ عهد السفّاح تصرفات تتنافى مع كونه أحد ولاة أو رعايا الخليفة العباسيّ . إنه كان شديد الحرص على أن تكون علائقه بالخليفة علائق الندّ بالندّ وليس علاقة تبعية أو علاقة المرؤوس برئيسه . لذا بدأ الخليفة يتضايق من تصرّفات أبي مسلم الرعناء لدرجة حملت وليّ عهد الخليفة الأوّل وهو أخوه أبو جعفر عبد الله ، وسيلقب بعد توليّه الخلافة بالمنصور ، على أن يقول لأخيه أبي العباس السفّاح غداة عودة أبي جعفر من خراسان من عند أبي مسلم : ((لسْتَ بخليفة مادام أبو مسلم على قيد الحياة)) .

. لكن السفّاح الذي وتر الفرس بقتله أبا سلمة الخلاّل لم يرغب أن تتوالى النكبات على رعاياه الفرس ولذا فإنه من عزوفه عن قتل أبي مسلم فإنه لم يأل جهداً في تخضيد شوكته والنيل من نفوذه . كما ساد الجفاء علائق أبي مسلم بأبي جعفر عندما كان هذا الأخير وليّاً للعهد فلما صار خليفة كان طبيعياً أن يفكّر جدياً بالخلاص منه فعهد إليه بمهمة خطرة وهي قتال عمّ الخليفة نفسه وهو عبد الله بن عليّ العباسيّ الذي خرج على ابن أخيه المنصور مطالباً بالخلافة لنفسه بعد ابن أخيه السفّاح . وجّه المنصور عدوّه أبا مسلم لقتال عدوّه الثاني عبد الله بن علي . وكان من عادة المنصور أن يرمي أعداءه بعضهم ببعض ، ويقول بعد توجيهه أحدهم لقتال الآخر : ((لا أبالي أيّهما قتل صاحبه)) ، وهذا ما قاله فعلاً بعد إرساله أبا مسلم لقتال عمّه عبد الله بن عليّ . فلما نجح أبو مسلم في المهمّة التي كلفّه بها الخليفة وهي قمع فتنة عبد الله بن عليّ أسفر الخليفة عن نواياه بإزاء عدوّه الثني أبي مسلم ولجأ إلى الحيلة والمكر والدهاء لكي يستدرجه إلى حاضرته حيث أكمن له كميناً في قصره فلما نجحت الخطّة قتل أبو مسلم . وصفوة القول أن السلاطين والخلفاء لا يحتملون دالّة لأحد عليهم ، فإن قضوا وطرهم من أحد الذين أسهموا في إقامة دولتهم حاولوا جهد المستطاع أن يبطشوا به وأن يردوه حتفه لئلا يشعر بأنه علّة وجود تلك الدولة . وسنعمد الآن إلى تحليل نصّ المؤرخ المسعوديّ .

أولاً – من حيث الأسلوب اللغوي :

توفي مؤرخنا المسعوديّ سنة ٣٤٥هـ وتعود لغته إلى فترة عصر الازدهار .

ويستوي في ذلك ما ورد في النص على لسان الخليفة المنصور أو معاصريه أي شخصيات النص التي كانت تعيش في النصف الأول من القرن الثاني ، أو ما ورد فيه على لسان المسعودي نفسه فبالنسبة لكلا العصرين (القرن الثاني والقرن الرابع) كانت اللغة في أوجها ومع ذلك فثمة خلافان بين لغة هذين العصرين

. فبالنسبة للخلاف الأول هو أن القرن الثاني كان أشد تأثراً بأسلوب صدر الإسلام من حيث وضوح أثر القرآن الكريم والحديث في النثر الفني . فكثيراً ما كان الكاتب يدمج في كتابته بعض آي الذكر الحكيم أو الأحاديث النبوية الشريفة . فالنظر إلى هذه الفقرة التي وردت فيها آية من آيات القرآن الكريم وهي الفقرة الأولى من النص : " قال المنصور يوماً لسالم بن قتيبة : ما ترى في أمر أبي مسلم ؟ قال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية " .

فنحن نظن أنه لا يوجد حوار يؤدي المنى المراد من النص بلفظ أبلغ وأروع مما ورد فيه . فقد أجاب سالم بن قتيبة المنصور بأن الخلافة لا تحتمل رئيسين أنت وهو لأنه لو كان فيهما رئيسان، وردت في الآية : (آلهة إلا الله لفسدتا) ، لساءت أمور الدولة . أدرك المنصور ما أراده سالم من جوابه فقال له حسبك لقد فهمت المراد من كلامك أو وعيت ما تقول .

ويبدو لنا أثر كل من القرآن والحديث في جميع فقرات النص ولعله أوضح ما يكون في أول وآخر فقرة . وبعد أن استعرضنا الفقرة الأولى لنلاحظ ما ذكره المنصور في خطبته بعد قتله أبا مسلم والتي ورد فيها ما نصه : أيها الناس ، لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشية المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة ، فإن من أسر غش إمامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه ، وسقطات أفعاله ، وأبداها الله لإمامه الذي بادر بإعزاز دينه ، واعلاء حقه بفلجه ، إنا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم ، إن من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد ، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه ، ثم نكث بيعته هو ، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه .

فنحن نرى وضوح الأثر الديني في هذه القطعة الرائعة من النثر الفني . لا بل فإن لما يتصل بوضوح الأثر الديني في هذا النص الإلحاح على نظرية الحق الإلهي المقدس الذي يمارسه الخلفاء أثناء الحكم . وقد اقتبس الخلفاء العباسيون هذه النظرية عن الفرس فاستعمل المنصور الحجج المؤيدة لهذا الحق المقدس وهي من مألوف ما كان يعرفه أتباع أبي مسلم نفسه لأنهم من الموالي الفرس، فاستعمل الخليفة لإقناعهم بعدالة الذي ناله القصاص الذي ناله أبو مسلم نفس الحجج أو البراهين والطريقة التي كان أكاسرتهم قبل الإسلام يطبقونها.

أما بالنسبة للخلاف الثاني فهو رواسب بقيت في النثر الفني من العهد الجاهلي وقد أخذت بمرور الزمن تقل تدريجيا وهي استعمال كأداة للإقناع أو كبرهان أو دليل . وإذا تصفحنا النص لا نجد فيه سوى بيت شعر واحد قاله أو تمثل به المنصور عندما بلغتة أنباء ثورة عمه عبد الله بن علي .وقد ورد في النص:((فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب :

سأجعل نفسي منك حيث جعلتا وللـــــــــدهر أيام لهن عواقب

وكانت نتيجة الأثر الديني في الأدبية العائدة لهذه الفترة أن اللغة غدت أقرب آنذاك بالإسلام ’فإنه لم تكن قد مضت على الظهور الإسلام آنذاك سوى فترة لم تزد على القرن والربع ، ومع ذلك لم نجد فيها أي أثر من مفردات النثر في الجاهلية .

وفيما يتعلق بما ورد في النص على لسان المسعودي نفسه فإنه يمتاز كذلك بالفصاحة والبلاغة ولو أنة بنتيجة التطور قد صار أقرب الى لغة الحضر بمعنى أن ألفاظه صارت أرق من ذي قبل. وقد صار نثر القرن الرابع أكثر استساغة بالنسبة لأذواقنا وأقرب الى نثرنا الفني . وقصارى القول نلاحظ أن لغة النص قوية وألفاظه جزلة وجملة مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض ولا أثر في كلماته لغريب أو لوحشي. ولم نجد في النص من التعابير التي تعد مستعملة في زمننا سوى ((و اعتورته السيوف ، فخلطت أجزاوه ، وأتوا عليه والمنصور يصيح اضربوه قطع الله أيديكم ...)) فهذه التعابير لم تعد مستعمله في أيامنا.

ثم هناك مقالة المنصور لوليّ عهده عيسى بن موسى عندما ذكر هذا الأخير له طاعة أبي مسلم ونصيحته فقال له المنصور : ((يا .... خلق الله (ومعناها يا أحمق من جميع خلق الله أو يا أشد حمقاً من جميع خلق الله) ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ...) . إن أسلوب المسعودي اللغويّ مرسلّ قويّ التراكيب لا أثر للصنعة والتكلف فيه ولم تغزه المحسّنات البديعية ولاسيما السجع والجناس ، وقد مر بنا ما ورد في النص على لسان المنصور نفسه أو على لسان مساعديه من استشهاد بأي الذكر الحكيم لتأييد حقّ الخليفة المنصور بقتل أبي مسلم بما حثّ عليه الشرع الإسلامي ، والتقاليد الفارسية التي ترى وجوب تمتع الأكاسرة بالحق الإلهي المقدس وبحق إزهاق أرواح رعاياهم ، ومن وجوب طاعة ولي الأمر وأن الخارج على ولي الأمر يستحقّ القتل . والمسعوديّ على العموم يتوخى الإيجاز في عرضه وقائع الحادث .

ثانياً : من حيث الأسلوب التاريخي :

نلاحظ أن المؤرخ تهاون تهاوناً كلياً بأسلوب رجال الحديث . فلم نجد أولاً أيّة إشارة إلى إيثار النقل بالسماع على النقل عن الصحف المدوّنة سوى إشارة عابرة وردت في الفقرة الرابعة وجدنا فيه ما نصه : ((فتقدم أبو مسلم إلى مضرب المنصور ، وهو على دجلة برومية المدائن ، فدخل وجلس تحت الشراع ، وقيل الرّواق)) . ففعل القول هنا يدل على أن المتن منقول بطريق السمّاع وذلك لأن الأخباريّن عوّدونا عدم استعمال فعل القول إلا عندما يكون المتن (أي الخبر) منقولاً بطريق السماع .

كما لم نجد في النصّ أيّة أسانيد مرسلة أو مقطوعة ، ولا اختلافاً في الأسانيد سوى إشارة بسيطة إلى اختلاف في السند وهي أيضاً في الفقرة ذاتها : وقيل ، أي ونقلت رواية أخرى .

وفيما يتعلق باختلاف المتون لم يثبت المسعوديّ سوى متن واحد فيما عدا استعماله كلمة الرواق بدلاً عن الشراع وهذه معناها أنه أورد هنا اختلافاً في المتن .

لكننا نجد في النصّ نواحي أخرى تستوقف الانتباه لم يكن لنا بهد عهد من قبل المسعوديّ الذي عاش في أواخر القرن الرابع وهذه النواحي هي أن مؤرخنا المسعوديّ كان جغرافياً إلى جانب كونه مؤرخاً . إنه في هذه الناحية ندّ للمؤرخ اليوناني هيرودوت الذي لقّب عن جدارة واستحقاق أبا المؤرخين من حيث أنه كان يرى الحوادث التاريخية بلواحظ الجغرافيّ ويناقشها بتفكير المؤرخ . لا بل آثر كثيرون من النقدة الغربييّن المسعوديّ ورجّحوه على هيرودوت نفسه لأنه كان فيما يصف لنا من عادات وتقاليد بعض الشعوب التي زارها أعمق تفكيراً من سلفه هيرودوت وقلّ أن أجمع مؤرخو الغرب ونقدتهم على تقدير مؤرخ عربيّ إجماعهم على تقدير المسعوديّ وإعجابهم به .

وعلى الرغم من أن المسعوديّ المؤرخ اكتفى باعتماد رواية واحدة أو صيغة واحدة ، أي متناً واحداً ، عن فتك المنصور بأبي مسلم بمعنى أنه توخّى الايجاز في عرضه لوقائع هذا الحادث التاريخي إلاّ أنّ المسعوديّ الجغرافيّ أبى إلاّ أن يظهر لنا شخصيته من خلال السطور التي أثبتها في نصه . لقد رأينا قبل المسعودي مؤرخين كثيرين تعرضوا لهذا الموضوع نفسه. ومنهم من اورد رواية واحدة ومنهم من اتى بعده روايات لكننا لم نجد واحدا منهم ولوكان من

بين الذين اوردوا عدة روايات عن هذا الحادث عني بتفصيل وايراد تحديد واف للامكنة التي ورد ذكرهافي النص.لاحظ مثلا مااورده في مطلع الفقرتين الثانية والثالثة من نصهعندما وصف لنا الموضوع الذي دار فيه القتال بين ابي مسلم ا بن الخراساني وعبد الله بن علي عم المنصور فقال المسعودي عن ذلك مانصه:((ثم بعث اليه بابي مسلم(أي بعث المنصور باابي مسلم للقتال عمه عبد الله) فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبينفي الموضع العروف بدير الاعور،وصبر الفريقان شهورا على حروبها واحتفروا الخنادق،ثم انهزم عبد الله فيمن كان معه،وسار في نفرمن خواصه الى البصرة...)) فحتى المؤرخون الذين اوردوا الصحائف الطوال عن القتال الذي دار بين الفريقين لم يذكروا سوى ان القتال دارعند نصيبين فحسب. اما المسعودي فابى عليه اهتمامه بالنواحي الجغرافيه الا ان يمدنا بايضاح واف عن الموضع الذي دارفيه القتال.

لاحظ كذلك وصف الجغرافي الدقيق للطريق التي سلكها ابومسلم عندما عاد من الجزيرة قاصدا خراسان قبل رضوخه الى استدعاءالمنصور له لمقابلته في المدائن بعد ان استدعاه هذا الاخير.فقال المسعوديفي مطلع الفقرة الثالثةمن نصه مايلي: ((وسار ابو مسلم من الجزيرة وقد اجمع على الخلاف المنصور، واجتاز على طريق خراسان متنكبا العراق ،يريد خراسان، وسار المنصور من الانبار يريد المدائن، فنزل برومية المدائن التي بناها كسرى ،وقدقدمنا ذكرهافيما سلف من هذا الكتاب..))فها نحن اولاء نرى بجلاء ودقة وصف الطريق التي سلكها كل من المنصور وابي مسلم بدقة ووضوح. فاذا دققت في جملته:واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق،يريد خراسان تلاحظ ان ابا مسلم جعل العراق على منكبه بمعنى عن يمينه في سيرة او اتجاهه الغربي الشرقي عندما عول على عبور ممر جلولاء الموجود في جبال البرز الفاصلة بين العراق وايران والمرور بمدينة حلوان وينتهي الممر في ايران بالقرب من مدينة اصبهان وهي مدينة مشهد حاليا.فلا اظن ان احد يستطيع ان يؤدي هذا المعنى كاه بعبارة اوجز وافصح من المسعودي وهي ((واجتاز على طريق خراسان(أي الولاية الشمالية من ايران)منتكبا للعراق يريد خراسان)).

لذلك كله نجد نقدة الغرب قد انصفوا هذا المؤرخ الرحالة العربي الذي رجحه بعضهم على هيدورت نفسه.

ثالثا- من حيث شخصية المؤرخ:

انه على الرغم من معرفتنا للفترة التي جرى فيها الحادث التاريخي،لان المؤرخ صاحب النص نفسه حددها في نصه، حيث قال عن قتل المنصور لابي مسلم: ((وكان قتله في شعبان من سنة ست وثلاثين ومائة،وكان فيها بيعة المنصور،وهزيمة عبدالله بن علي،وادرج ابو مسلم في بساط))،فمع معرفتنا ان الحادث التاريخي الذي جرى في مطلع الثلث الثاني من القرن الثاني للهجرة فانه ليس بوسعنا تحديد الفترة التي عاش فيها المؤرخ لانه لم يورد لنا في نصه اسانيد مرسلة.ولذا يتعذر علينا تحديد القرن الذي عاش فيه مؤرخنا وان كنا نرجح انه عاش بعد منتصف القرن الثالث لانه قل ان وجدنا مؤرخنا تجرا على مخالفة اسلوب رجال الحديث في تدوين الحوادث التاريخية بهذا الشكل الصارخ قبل هذه الفترة.

ولكن عجزنا عن تحديد الفترة الزمنية التي عاش خلالها المؤرخ صاحب النص لايمنعنا من العثور على بعض الاشارات في نصه توضح لنا زوايا من شخصيتة ومن بينها:

انه عالم جغرافي شديد الحرص على تحديد المواضع التي ورد ذكرها في نصه بدقة وضبط.

نجلى لنا من الصيغة التي اوردها المؤرخ صاحب النص انه المؤرخ عربي صميم ايد وجهة نظرالخليفة المنصور فلم يرو لنا سوى اراء من حبذوا تخاص المنصور من ابي مسلم وهم سالم بن قتيبة وعيسى بن علي وجعفر ابن حنظلة فهؤلاءكانوا من مؤيدي قتل المنصور لابي مسلم.

ان مؤرخنا عربي صميم راعه ان الموالي الذين اسهموا بنسبة كبيرة في قيام الخلفة العباسية بدؤوا يتطلعون الى الانتقام من العرب والى المساواة بهم بعد ان عاشوا في العهد الاموي في ظل صغار اجتماعي. ويبدو لنا ذلك من خلال الماخذة التي اوردها المنصور في عتابه لابي مسلم ليبرر بها قتله .لقد اجاب ابو مسلم بعد عتابه للمنصور قائلا: ((ليس يقال لي هذا بعد بلائي وماكان مني، فقال له يابن الخبيثةوانما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك امة سوداء لاحزت، الست الكاتب الي تبدا بنفسك ، والكاتب الي تخطب اسية بنت علي (وهي عمة الخليفة) وتزعم انك ابن السليط بن **عبد الله بن عباس ؟ لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا ....))

==========

المحاضرة الثانية عشر

استكمال تحليل نص المنصور

رابعا-من حيث الحياد:

يبدو المعسودي في هذا النص حياديا لم يحاب المنصور ولم يذكر كلمة تحبيذ واحدة لموقفه من ابي مسلم . ولكننا ان دققنا في هذا النص مليا نجده ميالا الى الخليف العباسي العربي من حيث انه اغفل ذكر وجهة نظر مؤرخي الموالي التي اعتبرت ان المنصور جاحدا لجميل الموالي الذين ساندوا وازروا وايدوا بدمائهم الدعوة العباسية ومكنوا العباسيين من احراز النصر على الامويين لم يذكر لنا رايا من هذا النوع وانما اقتصر على ايراد اراء المحبذين لموقف المنصور الذي عقد العزم منذ خلافة اخيه السفاح على التخلص من ابي مسلم ولولم يرتكب أي ذنب. الم يقل المنصور ذات يوم لاخيه : ((لست بخليفة مادام ابو مسلم على قيد الحياة؟)). اما وقد انتقلت الخلافة اليه فلا مندوحة اذن من قتل زعيم موالي الفرس.

وهكذا نحن نرى ان المسعودي كان في نصه بعيدا جدا عن الحياد ونظرا لأننا نعرف عن هذا المؤرخ انه حيادي إلى ابعد الحدود الحياد والنزاهة نقول إن تحيزه في رواية هذا الحادث كان عصبية منه لعروبته لان المنصور كان في قتله لابي مسلم داعياً الى خنق النفوذ الفارسي في مهد قبل أن يفوت الاوان ويستفحل الشر وإن كان الخلفاء الذين أتوا من بعده اهملوا هذه الناحية ونوجزجميع ما ذكرناه في حقلي شخصية وحياد المسعودي عن هذه الناحية بقولنا : لقد كثر المؤرخون الموالي الذين قبحوا قتل أبي مسلم إن لم يكونوا موجودين في دائرة نفوذ العباسيين بمعنى إن لم يكونوا يرهبون جانبهم . بينما ذكر المسعودي هذا الحادث دون أن يشتم مما كتبه تأثره لمصرع أبي مسلم ، ولعله تأثر في موقفه بعصبيته كعربي للمنصور ، ولذلك لم نجده يعلق بشيء على الحادث كما فعل المؤرخون الآخرون

ومما يؤيد رأينا ، وهو أن المسعودي حاول إظهار المنصور بمظهر الخليفة العادل وأنه لم يظلم أبا مسلم عندما قتله ، أن المنصور لم يقتل صاحب شرطة أبي مسلم وهو نصر بن مالك على الرغم من أنه حبذ لأبي مسلم العودة إلى خرسان . فانظر إلى الحوار الذي دار بين المنصور ونصر في آخر صفحة من النص : " دعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبي مسلم فقال : استشارك أبو مسلم بالمسير إلي فنهيته . قال نعم . قال ولم ؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه قال : لا يزال المرء يزداد في عقله إذا ما محض النصيحة لمن شاوره ، فكنت له كذلك ، وأنا الآن لك كذلك " فاقتنع المنصور بجوابه ولم يقتله

خامساً – موقف المؤرخ من النقد العلمي :

لم يورد المسعودي عدة روايات للحادث لنلاحظ فيما إن كان فاضل بينها أو نقدها ولذلك لا أثر للنقد العلمي في نصه هذا .

فهذا هو عرض مجمل لملاحظاتنا على النص فيما يتعلق بتحليله .

خلافة أبي جعفر المنصور

نص منقول من كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ص ١٤١ – ١٤٧)

تحليل نص عن خلافة أبي جعفر المنصور وهو منقول من كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الأسلامية (ص ١٤١_١٤٧)لمحمد بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي.

إن هذا النص هو مؤرخ عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (فقد ولد سنة ٦٦٠ه). وكان مولدة بعد أربع سنين فحسب من نكبة بغداد على يد المغول وقضاء هولاكو على الخلافة العباسية.وهذا المؤرخ علوي المذهب وقد دخل في خدمة أمير الموصل،للمغول وهو فخر الدين عيسى نائب السلطان المغولي غازان على الموصل،ومن هنا جاء اسم كتابه

الفخري حيث اطلق عليه اسم سيده وولي نعمته أحد كبار موظفي المغول في شمالي العراق. وكثيراً ما حاول ابن الطقطقي طمس حقائق التاريخ وتزويرها تجاوباً مع ميوله العلوية ، كحرصه الشديد على نفي تهمة تواطؤ الوزير الشيعي ابن العلقمي مع المغول ضد الخليفة العباسي المستعصم بالله وضد الخلافة نفسها . ولنشر إلى أن ثمة عاملين اثنين أثر في انحياز ابن الطقطقي

فهو من جهة متأثر بميلة المذهبي ، فكان شيعياً ومن علية الشيعة حيث كان والده نقيباً للأشراف العلويين في الحلة والنجف وكربلاء وقد قتل سنة ٦٨٠ فآل هذا المنصب إلى مؤرخنا هذا . لذلك فنحن لا نثق بأخباره المتعلقة بتاريخ الشيعة وعلائقهم بالخلفاء الأمويين والعباسيين إلا إن وردت في مصادر أخرى اشتهر مؤلفها بالنزاهة . وذلك لأنه يسعى حثيثاً لطمس معالم الحقيقة إن كان فيها ما يدين أحد الزعماء العلويين .

كما وأنه من جهة أخرى متأثر بكون نعمته فخر الدين عيسى موظفاً كبيراً لدى المغول . ولذا لا نجده متألماً عند وصفه للكارثة التي منيت بها الإنسانية جمعاء ، ألا وهي قضاء المغول على الخلافة العباسية وما رافق ذلك من إلقاء أمهات الكتب في دجلة وهي عبارة عن كنوز تراثنا الفكري وحصيلة التأليف والترجمة خلال ستة القرون التي شملت الفترة الذهبية من تاريخ حضارتنا ، فعند وصفه لسقوط الخلافة العباسية نراه يلح على أسباب السقوط دون أن يتألم لما حاق بكعبة العلم وأم الدنيا في زمنه من دمار على يد وحوش بشرية .

أما فيما عدا ذلك فهو ملتزم لجانب الحياد وهذا ما سنراه من دراستنا للنص وتحليله .

أولاً – من حيث الأسلوب اللغوي : عاش مؤرخنا في القرنين السابع والثامن بمعنى أنه عاش فترة سيطرة المحسنات البديعية على نثرنا الفني فمعظم النثر في زمنه كان مسجوعاً والعناية في الجمل كانت منصبة على المبنى أكثر من المعنى ، من حيث أن الكاتب كان يتصيد الكلمات المسجوعة التي تتيح له أن يظهر في تدوينه ثروته في حفظ المفردات ، بينما كانت المعاني ضحلة سطحية لا يمكن أن نقارنها بمعاني وأفكار أساطين الكتاب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

إننا نلاحظ في النص قسمين : الأول هو ما ذكره ابن الطقطقي عن المنصور نقلاً عن أمهات الكتب التي تحدثت عن خلافته ولا سيما عن الطبري مع العلم أنه لم يرد هذا القسم المنقول إلى المصادر المأخوذ منها . بينما نجد في القسم الثاني ما ذكره ابن الطقطقي نفسه كقوله مثلاً في مطلع الفقرة السادسة من نصه : " واعلم أن المنصور هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة وأقام الناموس واخترع أشياء فمن جملة ما اخترع فرس النوبة.الخ"

إن دققنا في نثره نلاحظ أنه مرسل وليس مسجوعاً بينما رأيناه يستعمل الأسلوب المسجوع الذي غزته المحسنات البديعية في مقدمة كتابة الآنف الذكر ، فانظر إلى نثره مقدمته ، فبعد أن حمد الله تعالى مسبب الأسباب ومفتح الأبواب ، مقدر الأمور ومدبر الدهور ٠٠٠صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "٠٠٠وأصلي على النفوس العلوية المطهرة من الأدناس ، وعلى الأجسام الأرضية المنزهة عن الأرجاس . وأخص من بينهم بأفضل الصلوات الزاكيات وأكمل التحيات الناميات ، من نادى والألسن حداد ، وأرشد والأكباد غلاظ والقلوب جلاد ، محمداً النبي الأمي ذا التأييدات الإلهية ، والتأكيدات الجلالية ، وآله الطيبين وأصحابه الصالحين الذين كانوا صدقوه وقد أرسل ، ونصروه وقد خذل ، ما سمح جواد ووري زناد ٠٠٠"" ثم ذكر كيف تم اتصاله بالأمير فخر الدين عيسى إبراهيم لؤلؤ صاحب الموصل ومدح ومداح أباه إبراهيم "٠٠٠إني حين أحلني حكم القضاء بالموصل الحدباء حللتها غير متعرض لو بلها أوطللها ودخلتها كما قال عز من القائل : " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها " ، وكنت بنيت عزمي على المقام فيها بقدر ماينكسر البرد ويثقل البرد ، ثم التوجه بعد ذلك إلى تبريز فحين استقررت بالموصل بلغني من عدهجهات مختلفة ومن ذوي آراء غير مؤتلفة غزارة فضل صاحبها الأعظم ، المولى المخدوم الملك المعظم ، أفضل الملوك وأعظمهم ، وأكرم الحكام وأحلمهم ، فخر الملة والدين (اسمه الأمير فخ الدين) الممنوح بخصائص لو كانت للدهر لما شكا صرفه حر ، ولما مس أحداً منه ضر ، ولو كانت للبحر لما كان ماؤه ملحاً أجاجاً ولما خاف راكبه منه أمواجاً ولو ظفرت بها الأقمار ، لما لحقها السرار ، عيسى (وهو الاسم الثاني لممدوحة لان اسمه فخر الدين عيسى) الذي أحي ميت الفضائل ، ونشر طي الفواضل (أي له معجزات كمعجزة عيسى وهي إحياء الموتى ، فممدوحه فخر الدين هو كسميه عيسى بن مريم له معجزة لكنه أحي ميت الفضائل ونشر طي الفواضل) وأقام سوق المكارم في عصره كسدت فيه سوقها ، وأنهض مقعدات المحاسن بعدها عجزت عن حمل أجسامها سوقها ، وذب عن الأحرار في زمان هم فيه أقل من القليل وملأ أيديهم من عطائه بأياد واضحة الغرة والتحجيل، وأفاء عليهم ظل رأفة لا يتنقل ، وخفض لهم جناح رحمة فما يني يتفضل ، عليهم ويتطول ، كلما ازداد دولة وتمكينا ، زاد تواضعاً ولينا ، وكلما بلغ من الملك غاية ، رفع للكرم راية ، ابن إبراهيم أعز الله نصره وأنفذ نهيه وأمره الذي أنسى ذكر الأجواد ورزانة الأطواد وشجاعة الآساد ..." .

فهذه الظاهرة تلاحظ عند أكثر مؤرخي القرون السادس والسابع والثامن والتاسع وهي أن هؤلاء المؤرخين ، كابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠)وابن الطقطقي المولود سنة ٦٦٠ وأبي الفداء المتوفي سنة ٧٣٢ وابن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ ه ، يلتزمون الأسلوب المسجوع في مقدمات كتبهم ويتساهلون في هذا الأسلوب إلى أبعد حد في سرد أخبار تلك الكتب . فبعد تقص للسبب وجدناه أو بالاحرى نظن أننا وجدناه في مألوف العصر وذلك أن أدباء هذه العصور كانوا يتذوقون أسلوب النثر المسجوع متأثرين بحفظ معظمهم لكتاب الحماسة للطائي ولمقامات كل من الحريري وبديع الزمان الهمذاني . تحدث ابن الطقطقي عن ذلك في نفس مقدمته حيث أورد ما نصه : " التزمت ... أن أعبر المعاني بعبارات واضحة تقرب من الأفهام لينتفع بها كل أحد عادلاً عن العبارات المستعصبة التي يقصد فيها الفصاحة وإثبات البلاغة . فطالما رأيت مصنفي الكتب قد اعترضهم محبة إظهار الفصاحة والبلاغة فخفيت أغراضهم واعتاصت معانيهم فقلت الفائدة بمصنفاتهم ... وهذا كتاب يحتاج إليه من يسوس الجمهور (بدأ المؤلف يطنب ويبالغ في أهمية كتابه) ويدبر الأمور " وإن أنصفه الناس أخذوا أولادهم بتحفظه وتدبر معانيه بعد أن يتدبروه هم فما الصغير بأحوج إليه من الكبير ولا الملك العام الطاعة بأحوج إليه من ملك مدينة ، ولا ذوو الملك بأحوج إليه من ذوي الأدب فإنه من ينصب نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج إلى أكثر مما في الكتاب فعل أقل الأقسام لايسعه تركه . وهذا الكتاب إن نظر بعين الأنصاف رئي أنفع من الحماسة التي لهج الناس بها وأخذوا أولادهم بحفظها فإن الحماسة لايستفاد منها أكثر من الترغيب في الشجاعة والضيافة وشيء يسير من الأخلاق في الباب المسمى بباب الأدب والتأنس بالماذاهب الشعرية ، وهذا الكتاب يستفاد منه هذه الخصال المذكورة ويستفاد منه قواعد السياسه وأدوات الرئاسة ، فهذا فيه مافي الحماسة وليس في الحماسة مافيه.....

وهو أيضاً أنفع من المقامات التي الناس فيها معتقدون وفي تحفظها راغبون إذ المقامات لايستفاد منها سوى التمرن على الإنشاء ، و الوقوف على مذاهب النثر و النظم . نعم وفيها حكم وحيل وتجارب إلا أن ذلك مما يصغر الهمة إذ هو مبني على السؤل و الأستجداد و التحيل القبيح على تحصيل النزر الطفيف . فإن نفعت من جانب ضرت من جانب وبعض الناس تنبهوا على هذا من المقامات الحريرية و البدعية (نسبة لكل من الحريري وبديع الزمان الهمذاني)..." . وهكذا نلاحظ ازدواجا في الأسلوب اللغوي . فلئن كان في مقدمته ملتزماً الأسلوب السجوع فإن أسلوبه في باقي الكتاب أميل إلى الأسلوب المرسل لكنه في كلا القسمين ليس بذلك الأسلوب القوي الرصين الذي يذكرنا بأقطاب النثر الفني مابين القرنين الثاني و الخامس الذين مرت بنا نصوصهم آنفاً.

ثانياً - من حيث الأسلوب التاريخي :

إننا نلاحظ أهمالاً كلياً لأسلوب رجال الحديث فليس في النص إشارات إلى أن صاحبه التزم النقل با السماع وآثاره على النفل عن الصحف المدونة. وحتى مايوجدناه في صدر الفقرة الخامسة وفيها: ((وقال يزيد بن عمر هبيرة ...)) ففعل القول هنا لا يؤكد أن هذا الخبر منقول بطريق السماع وبواسطة الأسانيد المرسلة . فقد يكون هذا الخبر منقولاً عن الكتب التي وضعها مؤلفو القرون السابقة لاسيما وهذا الخبر في حد ذاته من الأخبار المعروفه في حيات الخليفة أبي جعفر المنصور .كما وأننا لم نلاحظ في النص أيت أسانيد سواء أكانت مرسلة أم مقطوعة . ونحن لانلوم المؤرخ هنا على إهماله الأسانيد لأن السند ليكون مرسلاً في حالة نصنا الحالي ، وبنتيجة كون الفارق الزمني بين الحادث التاريخي الوارد في النص ، ألا وهو خلافة المنصور ١٣٦-١٥٨هـــ ، وولادة المؤرخ التي كانت سنة ٦٦٠هـــ يزيد على خمسة القرون ، بمعنى أن السند ليكون مرسلاً يجب أن يتضمن على الأقل بين ثمانية وعشرة الرواة . والنص خال أيضاً من الأسانيد المقطوعة وحتى من مجرد الإشارات العابرة إلى الأسانيد ، كما وهو خلو من إراد إختلاف الأسانيد .

أما من حيث المتون فلم يعتمد المؤرخ سوى متن واحد أي رواية واحدة ، غير أننا نلاحظ على هذه الرواية الوحيدة الميل إلى الجانب العلوي وتأييد وجهة النظر العلوية في كل ماله علاقة بالعلويين .

وهاذا ويجب ألا تفوتنا الإشاراه إلى صيغة جديدة صرنا نراها مطالع بعض الفقرات وهي : واعلم (وهي فعل أمر من علم) . وقد لجأ أبن الطقطقي وسواه من مؤرخي ما بعد القرن الخامس . فإذا فحصنا الفقرة الخامسة من نص مؤرخنا صاحب النص نجد فيها : "وعلم إن المنصور هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس (القواعد) ، واخترع أشياء في جملة ما اخترع فرس النوبة ولم يكن الملوك قبله يعرفون ذلك ... فكأن المؤرخ صاحب النص أراد بفعل " واعلم " أن يخير القارئ أنه راجع ودقق في شتى المصادر التي تعرضت لحياة أبي جعفر المنصور ولاحظ إجماعها على الصفات التي سيسردها لقارئه ... فهذه الصيغة بقي استعمالها شائعاً مدة طويلة وبقيت رواسب هذا الاستعمال حتى مستهل القرن الحديث . وقد نجد المؤلف صاحب كتاب ما يخاطب القارئ بعد فراغه من المقدمة بقوله : واعلم يارعاك الله .

وصفوة القول أن أسلوب ابن الطقطقي ، الذي أهمل قواعد أسلوب رجال الحديث في تدوين التاريخ ، هو أقرب إلى أسلوبنا الحديث في عرض الحوادث التاريخية باستثناء خلافين جوهريين أولهما : أن المؤرخ صاحب النص هو مؤرخ غير حيادي فهو علوي متطرف ومنحاز إلى أبعد حدود الانحياز إلى العلويين وهذا ما يرضاه النقدة من مؤرخ ما . أما الخلاف الثاني فإنه أهمل إيراد أسماء المصادر التي نقل عنها . إنه بالنسبة لهذا الخلاف الثاني بعيد عن أسلوب رجال الحديث ، لأن ذكر الأسانيد واختلافها ليس في الواقع سوى حرص شديد على إجبار المؤرخين على أن يوردوا أسماء المصادر التي نقلوا عنها واعتمدوها ، مع فارق طفيف وهو أن الرواة (أي الأسانيد) لا تذكر أسماء كتبهم إنما تكتفي بأسمائهم فحسب خاصة وأن رجال الحديث لا يجيزون النقل عن الوثائق المدونة أي عن الكتب إنما بطريق الرواية الشفهية .

ثالثاً – من حيث شخصية المؤرخ :

لقد نتج عن إهمال المؤرخ لذكر الأسانيد أنه لم يعد بوسعنا تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها . خاصة وإننا نعرف حتى من النص نفسه أن الحادث التاريخي الذي تعرض له المؤرخ صاحب النص ، وهو خلافة أبي جعفر المنصور ، قد بدأ سنة ١٣٦ هـ .

كما وأننا نلاحظ أن المؤرخ صاحب النص قد جمع بين نقيضين فهو من جهة حيادي إلى أبعد حدود الحياد ينصف الخليفة المنصور ولا يبخسه حقه من التفريط والمديح كما ورد في القسم الأول من النص ، لكنه منذ بدء الحديث عن العلويين وشرح علاقتهم بالمنصور نجده أبعد ما يكون عن الحياد لدرجة أنه حينما ذكر سجن هذا الخليفة لبعض العلويين من الفرع الحسني عند ثورة محمد ذي النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ على هذا الخليفة قال معقباً على ذلك : " ..فحبسهم حتى ماتوا في حبسه بالكوفة لا جزاه الله خيراً عن فعله ... "

رابعاً – من حيث حياد المؤرخ أو تحيزه :

إنه من المعروف عن مؤرخنا التحيز والحقد ؛ التحيز إلى الجانب العلوي والمغالاة في هذا التحيز والميل ولا سيما إلى الفرع الحسني . وذلك لأن ابن الطقطقي مؤرخنا حسني ، والحقد على كل من نال العلويين بأذى . فقد رأينا كيف أنه تمنى ألا يجزي الله المنصور خيراً لموت بعض العلويين في حبسه " لا جزاه الله خيراً عن فعله " . أضف إلى ذلك أنه حاول أن يطمس الحقائق إذا كان فيها ما يمس العلويين . فانظر إلى ما ذكره عن سبب عدم رغبة المنصور في سكنى الكوفة واتخاذها حاضرة للخلافة وذلك في مستهل الفقرة العاشرة من النص فإنه لم يورد أن سبب الجفاء بين المنصور وأهل الكوفة أنهم شيعة ويكرهونه أشد الكراهية لدرجة حملت المنصور على القول عندما سئل عن سبب نفوره من السكنى في الكوفة : " ما هي بسلم فأسالمها ولا هي بحرب فأحاربها فرق الله بيني وبينها " . بينما قال ابن الطقطقي عن سبب كراهية المنصور لسكنى الكوفة ما نصه : " كان المنصور قد بنى في أوائل دولتهم مدينة بنواحي الكوفة وسماها الهاشمية ووقعت وقعة الراوندية فيها فكره سكانها لذلك ولمجاورة أهل الكوفة فإنه كان لا يأمنهم على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده ... " .

كما يلاحظ دارس حياة هذا المؤرخ أنه دافع عن الوزير ابن العلقمي الذي غدا قوي الحقد وشديد الكراهية للخليفة والخلافة العباسية ليس إلا لأن بعض جند الخلافة نهبوا حي الكرخ ، أي حي الشيعة في بغداد في أيام الخليفة المستعصم فتآمر هذا الوزير الخائن مع المغول وتواطأ معهم على تسليمهم بغداد والعمل على القضاء على الخلافة العباسية . فأخذ ابن الطقطقي على نفسه أن يبرئ هذا الوزير مما ثبت عليه من خيانة ولكنه جاء بحجج واهية ثبت تداعيها وضعفها مما لا مجال لبحثه وتفنيده هنا .

لقد ذكر ابن الطقطقي في مقدمة كتابه الفخري كيف أنه سيلزم في كتابه جانب الحياد فقال : " ... والتزمت فيه أمرين ، أحدهما أن لاأميل فيه إلا مع الحق ولا أنطق فيه إلا بالعدل وأن أعزل سلطان الهوى وأخرج من حكم المنشأ والمربإ وأفرض نفسي غريباً منهم وأجنبياً بينهم ... " فهل تقيد هذا المؤرخ بالحياد الذي اعلن عنه في مقدمته ؟ الجواب كلا لأنه على الرغم مما ضمن ابن الطقطقي كتابه من معلومات هامة ولاسيما عن وزراء العباسيين الأواخر فإنه ليس للكتاب قيمة علمية بالنسبة للظروف التي أحاطت بتأليفه . هذا المؤرخ لم يكلف تكليفاً من قبل أمير الموصل نائب السلطان غازان المغولي وهو فخر الدين عيسى بن إبراهيم كما كلف المنصور ابن إسحاق بوضع كتابه . وكما كلف عضد الدولة الدولة ابن بويه إبراهيم الصابئ بوضع تاريخ رسمي لآل بويه، وكما كلف آل بويه أيضاً مسكويه بوضع تاريخ لهم . إننا رأينا رجال الحديث يوجهون أمر وأقسى النقد لأبن إسحاق لقبوله هذا التكليف فكيف بمؤرخ كان يتزلف ويريد أن يتقرب من بلاط أمير الموصل لقبض صلاته فأهداه هذا الكتاب وأطلق اسم الفخري نسبة إلى أمير الموصل نفسه وقد ذكر له من الصفات في المقدمة ما جعله وحيد عصره وفريد دهره في الجود والكرم

وحب العلم والعلماء وغير ذلك من الصفات كل ذلك ليقبض صلاته وجائزته . إن ابن الطقطقي والوضيعة ما ذكرنا يجب ألا يعتبر في عداد المؤرخين المكلفين كابن إسحاق وإبراهيم الصابئ ومسكويه إنما أقل شأناً وأهمية منهم . فإذا كان إبراهيم الصابئ نفسه قد أجاب أحد سائليه عما يفعل ، عندما كان يؤلف تاريخ بني بويه المكلف به من قبل عضد الدولة أنه " أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها " فماذا يجيب ابن الطقطقي ، إن افترضنا أنه شاعر بوزر عمله ، لوسئل سؤال من هذا النوع ؟ وبنتيجة موقفه في قضية تبرئة الوزير ابن العلقمي وحرصه المتناهي على تبرئة ساحته مما نسب إليه من تهمة الخيانة ، ندرك تماماً أن هذا المؤرخ لم يعرف الحياد أبداً فيما له علاقه بتاريخ العلويين . أنظر مثلاً تمييزه جعفراً الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأباه فلدن ورود ذكرهما يقول عليهما السلام علماً أن ذلك لا يقرن إلا بأسماء الأنبياء فيقال محمد عليه السلام وعيسى عليه السلام وهكذا بالنسبة لجميع الأنبياء بينما قل أن عمد المؤرخون إلى التسليم على أحد سوى الأنبياء عملاً بما ورد في القران " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " .

وإذا سلمنا جدلاً بأن بعض المؤرخين يصلون على آل بيت الرسول أفليس المنصور واحداً منهم ؟ فما هو السبب في أن ابن الطقطقي أفراد العلويين بالصلاة والتسليم عليم بينما حرم المنصور ، وهو أحد آل بيت الرسول ، حتى من اللقبين اللذين يستحقهما وهما الخلافة وإمرة المؤمنين ؟ فانظر إلى ما قاله في الفقرة العاشرة من النص : " ... قالوا وكان المنصور يلبس الخشن وربما رقع قميصه وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال الحمد لله الذي ابتلاه بفقر نفسه في ملكه ..." . كما قال أيضاً في الفقرة العاشرة من النص نفسه : " ... وأمرهم بارتياد موضع فاختاروا له مدينته التي تسمى مدينة المنصور وهي بالجانب الغربي قريبة من مشهد موسى (أي موسى الكاظم بن جعفر الصادق) والجواد (وهو أحد أبناء موسى الكاظم) عليهما السلام ..." .

إنه قال كذلك في الفقرة الثالثة عشرة من النص أثناء كلامه عن بغداد : " ... ويقال مدينة المنصور ، ويقال دار السلام وقيل إنها مدينة مباركة مسعودة لم يمت فيها خليفة قط فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي بالجانب الشرقي استجدت بعد ذلك . وهو الذي فعل ببني الحسن ما فعل أخذ مشايخ السادات منهم وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان شيخ الطالبيين في عصره وبنيه وإخوته سادات بني الحسن عليهم السلام فحبسهم عنده وماتوا في حبسه "

إنه ذكر أيضاً في الفقرة الرابعة عشرة ما نصه : " روي أنه خرج حاجبه فقال من كان على الباب من بني الحسين فليدخل فدخل مشايخ بني الحسين عليه السلام ثم خرج فقال من كان بالباب من بني الحسن فليدخل فدخل مشايخ بني الحسن عليه السلام فعدل بهم إلى مقصورة ثم أدخل الحدادين من باب آخر فقيدهم وحملهم إلى العراق فحبسهم حتى ماتوا في حبسه بالكوفة لا جزاه الله خيراً عن فعله ... " . " ومن الطريف ما وقع أن رجلا من بني الحسن عليه السلام جاء حتى وقف على المنصور فقال ما جاء بك قال جئت حتى تحبسني عند أهلي فإني لا أريد الدنيا بعدهم فحبسه معهم وكان ذلك الرجل علي بن حسن بن حسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب وكان منهم محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان من أحسن الناس صورة وكان يسمى الديباج الأصفر لحسنه وجماله فأحضر المنصور وقال له أنت الديباج الأصفر قال كذا يقولون قال لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحد ثم أمر به فبنى عليه أسطوانة وهو حي فمات فيها " .

" ذكر السبب في فعل المنصور ما فعل ببني الحسن عليهم السلام " ثم تحدث عن المؤتمر الذي عقده الهاشميون بفرعيهم العباسي والعلوي في نهاية الخلافة الأموية ومبايعتهم لمحمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي وكيف أن جعفراً الصادق لم يبايع يومذاك لذي النفس الزكية ، وكيف أن المنصور لما تقلد الخلافة ظلم آل ذي النفس الزكية، وانتقم منهم . والغريب أنه ذكر ظلم المنصور لهم ولم يذكر ثورة ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم علي المنصور . فلو كان حيادياً وجب عليه أن يقول إن مأساة الحسنيين لم تحدث في عهد المنصور

إلا بنتيجة ثورة ذي النفس الزكية وأخيه عليه ولكن علوية المؤرخ أعمت بصيرته فلم يعد معنياً إلا بذكر ما حاق بالعلويين الحسنيين من ظلم دون أن يذكر سببه . والأغرب أن جعفراً الصادق وهو حسيني لم يبايع للنفس الزكية فلم يحرمه من لقب الإمام ، وهو معادل للقب الخلافة عند أهل السنة ، بينما لا يقول الخليفة أو أمير المؤمنين عن المنصور . إنه قال عن ذلك المؤتمر في آخر فقرة من نصه ما يلي :

" ... وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بني هاشم علويهم وعباسيهم ... فاتفق الجميع على مبايعة النفس الزكية إلا الإمام جعفر بن محمد الصادق فإنه قال لأبيه عبد الله المحض إن ابنك لا ينالها يعني الخلافة ولن ينالها إلا صاحب القباء الأصفر يعني المنصور ، وكان على المنصور حينئذ قباء أصفر . قال المنصور فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة ، ثم اتفقوا على مبايعة النفس الزكية فبايعوه ثم ضرب الدهر ضربة وانتقل الملك إلى بني العباس كما تقدم شرحه ثم انتقل من السفاح إلى المنصور فلم يكن له همة سوى طلب النفس الزكية لقتله أوليخلعه ... وكان عبد الله المحض من رجال بني هاشم وساداتهم فألزمه المنصور بإحضار ابنيه محمد النفس الزكية وإبراهيم فقال لا علم لي بهما وكانا قد تغيبا خوفاً منه فلما طول القول لأبيهما عبد الله قال كم تطول والله لو كانا تحت قدمي لما رفعتهما عنهما سبحان الله آتيك بولدي لتقتلهما فقبض عليه وعلى أهله من بني الحسن وكان من أمرهم ما تقدم شرحه رضي الله عنهم وسلم عليهم

وبصورة عامة يعتبر ابن الطقطقي غير الحياديين إنما المنحازون للجانب العلوي إن كانت في النص قضايا تمس تاريخ العلويين أو زعيماً علوياً حتى ولو كان من معاصريه.هذا فضلاً عن أنه لا يوحي ألينا بأية ثقة لأنه مؤرخ ضعيف النفس من الذين يعيشون على فئات موائد الخلفاء والأمراء وهذا ماناقشناه آنفاً .

أما إن كان الحادث التاريخي لايتعلق بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهاتين الثلمتين فأنه مؤرخ متجرد. وبالنسبة للنص المحلل لم يظهر تحيزة ضد المنصور إلا فيما له علاقة بالشيعة أما فيما عدا ذلك فقد أورد جميع أعمال هذا الخليفة ووفاه حقه.

خامسا- من حيث النقد العلمي:

لم نجد في النص نقداً علمياً لأن المؤرخ لم يرد سوى رواية واحدة أي متناً واحداً فقط مع ملاحظة أن هذا المتن منقول على الغالب عن المصادر العلوية، ولو كان المؤرخ حيادياً لنقاشه وانتقده.

هذه هي ملاحظتنا على تحليل هذا النص.

==========

المحاضرة الثالثة عشر

نص عن مقتل علي بن أبي طالب وبيعة الحسن بن علي وبدء خلافته معاوية وهو منقول من تاريخ ابن خلدون ؛ج٢؛١١٣١-١١٤٢

مقتل علي (رضي الله عنه) مناقشة ١١

قتل علي (رض)سنه أربعين لسبع عشرة من رمضان، وقيل لإحدى عشرة وقيل في ربيع الآخر والأ أصح . وكان سبب قتله أن عبد الرحمن ابن ملجم المرادي. والبراك بن عبد الله التميمي الصريمي وأسمه الحجاج،بن عمرو بن بكر التميمي السعدي ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعبروا الولاة

وترحموا على قتلى النهروان وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس .

فقال ابن ملجم:-وكان مصر- أنا أكفيكم علياً وقال البراك أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التميمي :أن أكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت. واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا. ولقي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبرة عنهم. ثم جاء شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه إلى الموافقة في شأنه: فقال شبيب: ثكلتك أمك فكيف تقدر قتله؟ قال أكمن له في المسجد في صلاة بغداد، فإن قتلناه وإلا في الشهادة. قال ويحك لا أجدني أنشرح لقتله مع سابقه وفضله، قال ألم يقتل العباد الصالحين أهل النهر وان؟ قال بلى! فنقتله بمن قتله منهم فأجابه.

ثم لقي امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهر وان فأخذت قلبه فخطبها فشرطت عليه عبداً وقينة وقتل علي. فقال كيف يمكن ما أنت تريد؟ قالت ألتمس غرته فإن قتلته شفيت النفوس وإلا فهي الشهادة قال: والله ما جئت إلا لذلك ولك ما سألت قالت: سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك، فبعثت معه رجلا من قومها اسمه وردان فلما كانت الليله التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي، وكانت ليله الجمعة جاء إلى المسجد ومعه شبيب و وردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة. فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعضادة الباب' وضربه ابن ملجم على مقدم رأسه وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، وهرب وردان إلى منزلة وأخبر بعض أصحابه بالأمر فقتله وهرب شبيب مغلساً. وصاح الناس به فلحقه زجل من حضرموت، فأخذه وجلس على السيف في يد شبيب والناس قد أقبلوا في طلبه. وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغلس فتركه وذهب في غمار الناس.

وشد الناس على ابن ملجم، واستخلف علي على الصلاة جعدة ابن هبيرة وهو ابن أخته أم هاني، فصلى الغداة بالناس، وأدخل ابن ملجم مكتوفاً على علي فقال: إيه عدو الله ما حملك على هذا؟ قال شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال أراك مقتولا به! ثم قال إن هلكت فقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. يا بني عبد المطلب لا تحرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أميراً للمؤمنين لا تقتلوا إلا قاتلي .

يا حسن:أنا إن مت من ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إياكم والمثلة. وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي: أي عدو الله لا بأس علي أبي والله مخزيك، قال فعلام تبكين ؟والله شريته بألف وصقلته أربعين، ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد.

وقال جندب بن عبد الله لعلي أنبايع الحسن إن فقدناك؟ قال ما آمركم به ولا أنها كم أنتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين ووصاهما قال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا في الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء زوي منها عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم و أعينا الضائع وكونا للظالم خصماً للمظلوم وناصراً، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومه لائم. ثم قال لمحمد ابن الحنفية إني أوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم وصاهما بابن الحنفية، ثم أعاد على الحسن وصيته. ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض .

وأحضر الحسن ابن ملجم فقال له لك البقاء علي!وإني قد عاهدت الله أن أقتل عليا و معاوية،و إني عاهدت الله الوفاء بالعهد فخل بيني وبين ذلك،فإن قتلته وبقيت فلك عهد الله أن آتيك فقال:لا والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله. وأما البرك فإنه قصد لمعاوية تلك الليلة،فلما خرج للصلاة ضربة بالسيف في إليته وأخذ فقال: عندي بشرى أتنفعني إن أخبرتك بها ؟ قال نعم ! قال إن أخا لي قتل عليا هذه الليلة.قال فعله لم يقدر عيله ؟قال بلى إن عليا ليس معه حرس

فأمر به معاوية فقتل وأحضر الطبيب فقال:ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الولد فقال: في يزيد و عبد الله ما تقر به عيني، والنار لا صبر لي عليها.

وقد قيل إنه أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة. وعندها ذلك اتخذ معاوية المقصورة ، وحرس الليل، وقيام الشرط على رأسه إذا سجد، ويقال إن أول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنه أربع وأربعين حين طعنه اليماني. وأما عمرو بن بكر فإنه جلس إلى عمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارجة بن أبي حبيبة بن عامر ابن لؤي يصلي بالناس فشد عليه فضربة فقتله، وهو يرى أنه عمرو بن العاص.فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال: فمن قتلت إذا؟ قالوا خارجة فقال لعمرو ابن العاص والله ما ظننته غيرك ! فقال عمرو: أردت عمرا وأرد الله خارجة . وأمر بقتله وتوفي علي رضي الله عنه، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى فارس زياد بن سمية ، وعلى اليمن عبيد الله ابن عباس ، حتى وقع أمر بسر بن أبي أرطأة ، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس ، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف.

بيعة الحسن وتسليم الآمر لمعاوية

ولما قتل علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن، وأول من بايعه قيس بن سعد وقال:ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله. ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس، فكان يشترط عليهم أنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت. فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال. وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين، وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين. ولأربعين ليلة بعد مقتل علي مات الأشعث ابن قيس الكندي من أصحابه . ثم مات من أصحاب معاوية شر حبيل بن السمط الكندي وكان علي قبل قتله قد تجهز المسلمين الى الشام وبايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت.

فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه، وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً وقيل بل كان عبد اله بن عباس على المقدمة، وقيس في طلائعه. فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل، واهتاج الناس وماج بعضهم على بعض، وجاؤوا إلى سرادق الحسن ونبهوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه، واستلبوه رداؤه، وطعنه بعضهم في فخذه. وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن . وخل إلى القصر وأكد أمره أن ينحل ، فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه خراج دار أبجرد من فارس وأن لا يشتم علياً وهو يسمع.

وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبد الله بن جعفر ، وعذلاه فلم يرجع إليها . وبلغت صحيفة إلى معوية فأمسكها ، وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله ابن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب أليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك، فاشترط فيها أضاف ما كان في الصحيفة . فلم سلم له وطالبه في الشرط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال: هو الذي طلبت من نزعه أهل البصرة خراج دار أبجرد وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه.

وخطب الحسن أل العراق وقال سخي نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي ، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبلتين ، قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهر وان يطلبون بثارة.

وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر . وإن معوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظي السيوف،وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضى الصلح. ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايع الناس. وكتب الحسن إلى قيس ابن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام وطاعو إمام ظلاله فقال له الناس:طاعة الإمام أولى.

وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف. فلما دخل معاوية الكوفة أشار علية عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيباً ليبدو للناس عيه. فلما قدم حمد الله وقال: أيها الناس أن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة، وأن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه: وأن ادري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

فقال له معاوية: اجلس ، وعرف أنه خدع في رأيه.

ثم أرتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة، وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيماً بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين، وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين، على فراشه بالمدينة، وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك.

وأقام قس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله ابن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقه ليلاً وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قس بن سعد، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة.وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في ذلك ماشئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعه الأمان على ما أصابوا من الدماء و الأموال ولم يسأل مالاً، فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الذين معه . ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على ذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك.

ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهر وان وغيرهم، فقاتلهم وستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من إفراد الأخبار عن الدول وأهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة. وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة و الفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة ، أورددتها مخلصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق مارأيناه في ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة وخيارهم وعدو لهم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين . فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء. فلا ينبغي أن تسود بها العيون . وأتبعها بمفردات من غير كتاب الطبري بعد إن تخيرت الصحيح جهد الطاقة،وإذا ذكرت شيئاً في الأغلب نسبته إلى قائله.

وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تأليهم في الفضل والعدالة و الصحبة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث: الخلافة بعدد ثلاثون فأنه لم يصح، والحق أن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين:

الأول: أن الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماعاً، فميزوا بين الحالتين. فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك،ويشبهون بعضهم ببعض ، وحاشى الله أن يشبه معوية بأحد ممن بعده. فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المر وانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس . ولا يقال: أن الملك أدون رتبة من الخلافة، فكيف يكون خليفة ملكاً.

وأعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هي الجبروتية والمعبر عنها بالكسوية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها. وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة، فقد كان سليمان ابن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل.ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستعمل العصبية وتدعو لطبيعة الملك.

وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استعمال أحكامه ودواعيه. والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار ، لا بالواهي فمن جرت أفعاله فهو خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسلمين ، ومن خرجت أفعاله من ذلك فهو من ملوك الدنيا. وإن سمي خليفة في المجاز.

الأمر الثاني: في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد ، عظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب، فجعلوا في نمط واحد،وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقة بهم قريبا في الفضل ، والله يحشرنا في زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم.

==========

المحاضرة الرابعة عشرة

تحليل

لنص مقتل علي رضي الله عنه وبيعة الحسن بن علي وبدء خلافة معاوية منقول من تاريخ ابن خلدون ج|٢ص ١١٣١_١١٤٢

- **ليس من داع إلى الكلام عن الحادث التاريخي الذي درسه ابن خلدون في نصه، وهو مقتل علي بن أبي طالب وبيعة ابنه الحسن وبدء خلافة معاوية، فهو من الحوادث التي يعرفها الجميع لذلك رأينا أن ندخل مباشرة في صلب موضوع تحليل هذا النص علما أنه من النصوص التي تمكننا من الكشف عن ميول المؤرخ ونزعته.أما مؤرخنا صاحب هذا النص فهو أموي النزعة يحاول جهد طاقته ألا يعتمد سوى الروايات التي تظهر الحق في جانب معاوية. وهذا ما سنراه بوضوح عند كلامنا عن موقف ابن خلدون من الحياد والتجرد والنزاهة.**

أولا:من حيث الأسلوب اللغوي:

هناك فارق زمني أربي على سبعة القرون بين الفترة التي جرى فيها الحادث التاريخي الذي تناوله ابن خلدون بالدراسة، وذلك حوالي منتصف القرن الأول للهجرة، والفترة التي يعيش فيها ابن خلدون(٧٣٢_٨٠٨هـ). لذلك كان يجب أن نجد في النص لغة صدر الإسلام أو على الأقل لغة القرن الثالث للهجرة طالما أن ابن خلدون اعترف في نصه أنه نقله عن تاريخ الطبري (٢٢٤_٣١٠هـ). لكننا لم نجد في النص أية صلة بين النثر الفني الذي اعتدنا قراءته في تواليف مؤرخي القرون الثلاثة الأولى وبين لغة هذا النص.وعندما قارننا لغة الأخبار التي أوردها ابن خلدون بما ورد عنها في تاريخ الطبري وجدنا البون شاسعا بين لغة هذين المؤرخين.وقد تحرينا عن المصدر الذي نقل عنه ابن خلدون فإذا به نقل كتاب الكامل لابن الأثير المتوفي ٦٣٠ه مع تعديل وفي بعض الأحايين تشويه لما أورده هذا الأخير عن الموضوع نفسه.

فإذ كانت لغة ابن الأثير أقل قيمة ومتانة وقوة من لغة الطبري، وهذا طبيعي لان ابن الأثير من مؤرخي أواخر القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع أي من أدباء عصر الانحطاط فإن لغة ابن خلدون الذي ولد بعد وفاة ابن الأثير بنيف ومائة عام أكثر انحطاطا في مستواها الأدبي من لغة ابن الأثير.

١_ جاء في الطبري حول تحديد السنة التي قتل فيها علي وتآمر الخوارج الثلاثة على قتل من علي ومعاوية وعمرو بن العاص ما نصه :((وفي هذه السنة _ أي سنة٤٠هـ_قتل علي ابن أي طالب عليه السلام واختلف في وقت قتله أبو معشر.... قتل علي في شهر رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة منه سنة ٤٠ وكذلك قال الواقدي....وأما أبو زيد فحدثني عن علي بن محمد أنه قال قتل علي ابن أبي طالب بالكوفة يوم الجمعة لإحدى عشرة قال ويقال لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠ قال وقد قيل في شهر ربيع الآخر سنه ٤٠.

((حدثني موسى بن عبد الله المسروقي قال...من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا على ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومه لائم فل شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم إخواننا فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي ابن أبي طالب وكان من أهل مصر وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمر بن بكر أنا أكفيكم عمر بن العاص فتعاهدوا و تواثقوا بالله لا ينكص رجل منا صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب. فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئا من أمره فإنه رأى ذات يوم أصحابا من تيم الرباب وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلاهم. ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ابنة الشجنة وقد قتل أباها وأخاها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها التبست بعقله ونسي حاجته التي جاء لها ثم خطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشفي لي قال وما يشفيك قالت ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب قال هو مهر لك ، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدينني قالت بلي التمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها قال فو الله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي فلك ما سألت. قالت إني أطلب لك من يسند ظهرك ويساعدك على أمرك فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له وردان فكلمته فأجابها وأتي ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وما ذاك قال قتل علي بن أبي طالب قال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إذا كيف تقدر علي... ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أجدني أنشرح لقتله...)).

:((وفي هذه السنة (٤٠ه) قتل عبي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، وقيل لأحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه، وقيل في شهر ربيع الآخر سنة ٤٠ و الاول أصح...

((وكان سبب قتله أن الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسم البرك الحجاج. وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد؟فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليا_وكان من أهل مصر_ وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر:أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا الله أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها و اتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد فأتي ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ، ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان على قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلي النهر ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال أخذت قلبه فخطبها فقالت : لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال : وماتريدين؟ قالت ثلاثة آلاف وعبدا و قينة وقتل علي فقال: أما قتل علي فما أراك ذكرتيه وأنت تريدين قالت بلى التمس غرتة...))

٣- وكان ما ذكره ابن خلدون فيما يتعلق بالحادث نفسه التالي: قتل علي (رض) سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان ، وقيل لإحدى عشرة وقيل في ربيع الآخر والأول أصح . وكان سبب قتله أن عبد الرحمن ابن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي واسمه الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي : ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى النهر وان وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهو الناس

((فقال ابن ملجم _وكان من مصر_أنا أكفيكم عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية من وقال عمرو بن بكر التميمي أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت.واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا. ولقي ابن ملجم بالكوفة فطوى خبره عنهم.ثم جاء شبيب بن شجرة من أشجع (نلاحظ أنه ورد في كل من الطبري وابن الأثير: بجرة) ودعاه إلى الموافقة في شأنه ،فقال شبيب أمك ثكلتك فكيف تقدر على قتله ؟ قال أكمن له في المسجد في صلاة الغداة فإن قتلناه وإلا فهي الشهادة .

قال ويحك لا أجدني أنشرح لقتله مع سابقته وفضله.

((ثم لقي امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهر وان فأخذت قلبه فخطبها فشرطت عليه عبدا وقينه وقتل علي. فقال كيف يمكن ما أنت تريدين؟ قالت التمس غرتة فإنه قتله وإلا فهي الشهادة قال: والله ما جئت إلا لذلك ولك ما سألت..)).

فمن مقارنتنا لهذه النصوص الثلاثة نلاحظ أن لغة الطبري هي أقواها وأقربها إلى لغة الصدر الإسلام ثم تأتي لغة ابن الأثير وأخيرا لغة نص ابن خلدون ولا غرابة في ذلك فقد عاش هذا المؤرخ في فترة حكم المماليك حيث كانت اللغة ركيكة.

ونحن نلاحظ أيضا أن ابن خلدون لم ينقل عن الطبري كما ادعى في نهاية النص نفسه إنما عن ابن الأثير علما أنه قدم وأخر ولو أن أسلوبه أشد ضعفا وركاكة من أسلوب ابن الأثير وقد حاول والإيجاز لكنه كان في بعض الحالات أيجازا مشوها للنص ومخلا بالأمانة العلمية في النقل.

إننا لا حظنا أن أسلوب ابن خلدون في نصه هذا مرسل ومعانيه سطحية وجمله مفككة غير مترابطة . وعلى العموم جاء أسلوبه في نصصه ضعيفاً شديد البعد عن أسلوب الطبري على الرغم من ادعاء هذا المؤرخ نقله عن الطبري إنما هو العكس نقل بصورة تكاد تكون حرفية عن ابن الأثر.

وثمة ملاحظة أخرى جديدة بالاهتمام وهي ان ابن خلدون الذي التزم في كتابه الأسلوب البعيد عن الصنعة ولاسيما السجع نراه في مقدمة كتابه يلتزم الاسلوب المسجوع فانظر إلى ما أورده في مقدمته على كتابه (ج١ ص٣-٤)،(...وأن فحول

المؤرخين في الأسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر و أودعوها وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لقفوها و وضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل.. والناقل إنما هو يملي وينقل والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل والعلم يجلوها صفحات الصواب ويصقل...))

إننا نلاحظ أخيراً ان ابن خلدون حذف أبيات الشعر أو القصائد التي قالها الشعراء في هذه المناسبة والتي أثبتها كل من الطبري وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين .

ثانياً- من حيث الأسلوب التاريخي .

قل ان وجدنا منذ القرن السابع مؤرخين تقيدوا ولو بصورة جزئية بالقواعد التي وضعها رجال الحديث لتدوين التاريخ في نهاية القرن الأول ومستهل القرن الثاني .

ولذا فإن ابن خلدون لم يخرج على مألوف عصره في تدوين التاريخ من حيث إهماله جميع قواعد رجال الحديث.

إنه اهمل إيراد الاسانيد فنحن لانجد في نصه أي سند مرسل أو مقطوع . ويجب أل نغالي لأنه ثمة صعوبة كبرى في إيراد سند مرسل لنقل خبر وقع سنة ٤٠ هـ بالنسبة لمؤرخ توفي في مستهل القرن السابع فسند من هذا النوع يجب أن يتضمن قربة خمسة وعشرين راوياً. وعلى ذلك فإن مسألة إيراد الأسانيد المرسلة تكاد تبدو بالنسبة لمؤرخي القرن السابع فما بعده مستحيلة .

فلئن زهد معظم مؤرخي القرن الرابع ومن أتى بعدهم في إيراد الأسانيد المرسلة لحوادث القرنين الأول والثاني علماً أنها لم تكن لتتضمن أكثر من ستة رواة فإن مؤرخي القرون السابع والثامن والتاسع غدواً أشد زهداً في ذلك.

كمل لم يورد ابن خلدون أي اختلاف في الأسانيد خاصية وأنه لم يعتمد على الغالب سوى متن واحد.

لم يعتمد هذا المؤرخ سوى متن واحد للحادث التاريخي الذي كتب وأهمل باقي المتون ولو أن اشار في بعض الحالات إلى أن ثمة أختلاف بين المتن التي أعتمده والنتون الأخرى ومن قبيل ذلك إيراده أختلاف الروايات حول تحديد مقتل علي في صدد البحث. كما وجدنا أورد متنين بصدد معاملة معاوية لبراك بن عبد الله التميمي حيث ورد في الرواية الأولى (فأمر به معاوية فقتل ...) ثم ذكر الرواية الثانية أي المتن الثاني حول المسألة ذاتها فقال: (وقد قيل أن (أي معاوية) أمر بقطع البراك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة).

كما اورد ابن خلدون أكثر من متن حول قضية مقتل الحسن بن علي فقال: (ثم أرتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة ، وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيماً بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين.وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين ، على فراشه بالمدينة .

وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك)

فإننا نرى أن أبن خلدون أورد متنين حول تاريخ الوفاة، ثم نفى أن يكون لمعاوية ضلع في وفاة الحسن مسموماً كما أدعى بعض المؤرخون فكأنه أورد هنا متنين.

وقد لاحظنا أنه أراد أثبات متنين ذكرهما ابن الأثير (الذي نقل عن ابن خلدون نصه)عن بيعه معاوية بالخلافة فلم ينتبه الى أنه شوهها ووقع في التناقض فقد قال ابن خلدون (... وبلغ الخبر بمقتل علي الى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين).

لقد بدا لنا ان المؤرخ ناقص نفسه فقد ذكر أن البيعة لمعاوية تمت في مناسبتين أولهما حسب التسلسل الزمني،بعد اجتماع الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص سنة ٣٧هـ والثانية بعد مقتل علي أي في سنة ٤٠ .

فالصيغة التي أوردها ابن خلدون لا يفهم منها أن هناك روايتين حول تحديد سنة البيعة إنما يفهم أنها تمت في مناسبتين علماً أن الطبري أورد خبر بيعة معاوية في مكانين فقال أولاً(ج٤١، ص٥٢ بعد حديث اجتماع الحكمين سنة ٣٧) :(ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ...) ثم قال الطبري في أخبار سنة ٤٠ (ج٤١ ، ص ١٢٣) :(وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء حدثني بذلك موسى بن عبد الرحمن قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن قال أخبرنا إسماعيل بن راشد وكان قبل يدعي بالشام أميراً وحدثت عن أبي شهر عن سعيد بن عبد العزيز قال كان علي علية السلام يدعي بالعراق أمير المؤمنين وكان معاوية يدعي بالشام الأمير فلما دخل علي علية السلام دعي معاوية أمير المؤمنين)،

فها نحن نرى أن الطبري اشار إلى ان ثمة روايتين حول بيعة معاوية فلم ينتبه ابن خلدون إليهما ونشدانا منه للاختصار شوه الموضوع ووقع في التناقض .

ولم تغب هذه الناحية وهي وجود روايتين حول بيعة معاوية عن ابن الأثير لذا وجدناه يذكر بصددها بين أخبار سنة ٤٠ (ج٣\ص٢٠٢) مانصه١:(... وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالأمير في بلاد الشام فلما قتل علي يدعى بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم أنه بويع بالخلافة بعد اجتماع الحكمين والله أعلم)).

لذا كان يجدر بابن خلدون أن يشير ، كما أشار ابن الأثير الذي نقل عنه نصه بصورة تكاد تكون حرفية إلى أن ثمة روايتين حول السنة التي تمت فيها بيعة معاوية بالخلافة لا أن يذكر تلك الصيغة الغامضة التي أوردها في نصه و التي لا يفهم منها إطلاقاً أن ثمة روايتين حول سنه البيعة .

٣_ أما من حيث اعتماد ابن خلدون على القاعدة الثالثة من قواعد رجال الحديث وهي إيثار النقل بالسماع على النقل عن الكتب أي الصحف المدونة فقد أهملها ابن خلدون بصورة كلية.

وكان كل اعتماده في هذا النص على النقل عن كتاب الكامل لبن الأثير وليس عن كتاب الطبري كما ذكر ابن خلدون نفيه حيث قال قبيل نهاية نصه عند الحديث عن الخلافة الراشدة وخلافة معاوية فقال: (وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية ... أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن...)

فعلى الرغم من هذا الأدعاء فقد اثبتنا بما لايرقى الشك إليه ان هذا النص منقول بصورة تكاد تكون حرفية عن كتاب الكامل لين الأثير وهذا مامر بنا في صدر البحث أثناء كلامنا عن أسلوب ابن خلدون اللغوي

ثالثاً: من حيث شخصية المؤرخ:

١_ إنه بالنظر الإهمال المؤرخ صاحب النص الأسانيد المرسلة للمتون التي نقلها فليس بوسعنا تحديد الفترة الزمنية التي كان يعيش خلالها ولو أننا نعرف الوقت الذي جرى فيه الحادث التاريخي الذي يتكلم عنه فقد وقع بين سنتي ٤٠- ٥٠ هـ تقريباً.

٢- النص فيه تهاون كلي بأسلوب رجال الحديث من حيث إيراد الأسانيد المرسلة واختلافها والمتون المختلفة وإيثار النقل بالسماع .

٣-لم يتقيد المؤرخ صاحب النص بتعاليم رجال الحديث وقوفه مو قفاً سلبياً من مختلف الروايات فهو يتدخل بصورة سافرة لينفي تهمة تحريض معاوية لزوج الحسن بأن تسم زوجها فقال مثلاً:(وما ينقل من أن معاوية دس السم إليه مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحادث الشيعة ، وحاشا لمعاوية من ذلك)) ، علماً أن ابن الأثير المعتبر من مؤرخينا الثقات المحايدين أورد هذه الرواية التي سنذكرها أثناء كلامنا عن حياد المؤرخ بدون أن ينفيها أو يثبتها .

٤- يظهر على مؤرخنا ألى جانب الميل إلى جانب الأموي بصورة سافرة فهو يعتبر معاوية خامس الخلفاء الراشدين.

٥- لم يكن المؤرخ صاحب النص أميناً دائماً في النقل وكثيراً ما أدى به ذلك إلى تشويه النص وهذا ما سيستمر بنا الكلام عن حياده.

رابعاً- من حيث حياد المؤرخ أو انجازه:

لقد بدا لنا بعد قراءة النص بإمعان ومقارنته بما ذكره عنه كل من الطبري وابن الأثير وهما معروفان بحيادهما التام وقد اعتبرا في مقدمة مؤرخنا الثقات الذي لا يتطرق الشك إلى أمانتهم في النقل وحيادهم وتجردهم وعدم تحيزهم لأحد، أن ابن خلدون نأى في نصه عما رسمه هو نفسه في مقدمه من وجوب تحقيق الأخبار قبل نقلها ، إننا وجدناه أخذ علي الكثيرين من المؤرخين أنهم أهملوا التثبت من الأخبار أي التحقق منها قبل النقل فقال، كما مر بنا قبل مانصه :(وخلطها المتطفلون أي خلطوا التاريخية الموثوقة بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوا وأدوها ترهات الأحاديث ولا دفعوها .

فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل ، الغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل))

لكننا بعد ضبط الأخبار في هذا النص وجدناه أنه كان أبعد ما يكون عن الأمانة في نقل الأخبار عن المصدر الذي نقل عنه، كما كان أبعد كثيراً عن التحقق منها . لابل فأننا نلاحظ عليه حالات كثيرة تحيزاً سافراً إلى معاوية وحرصاً شديداً على نفي أي تهمة عنه بدون أن يدلي بأية حجة أو برهان بل يكتفي أن يقول وحاشا لمعاوية ذلك وهذا ليس من الأسلوب العلمي في شيء .

إننا سنورد الأدلة على هذه النقائص الثلاث (عدم الأمانة في النقل، وعدم التحقق من الأخبار ، و التحيز إلى جانب معاوية) من نص ابن خلدون نفسه .

١- عدم الأمانة في النقل :

لقد نقل ابن خلدون نصه حرفياً عن ابن الأثير وليس كما ذكر هو نفسه عن الطبري ، لكنه لم يراع تسلسل الحوادث كما أوردها كل من هذين المؤرخين وغير بعض الكلمات . ومن قبيل ذلك أن كلا من الطبري وابن الأثير أورد أن ابن ملجم اتصل من أجل تنفيذ مؤامرته بقطام بنت الشجنة قبل اتصاله بشبيب بن بجرة (الطبري ج / ٤،ص ١١٠ – ١١١ وابن الأثير ج / ٣،ص ١٩٥) بينما ذكر ابن خلدون في نصه أن ابن ملجم بشبيب قبل اتصاله بقطام . ولنذكر أن هذا التقديم والتأخير لم يكن الحامل عليه سوء النية .

خامساً : موقف ابن خلدون من النقد العلمي :

لا جرم أن ابن خلدون هو من أعظم مؤرخينا عناية بالنقد وله في ذلك آراء قيمة . لكن مما تجدر الإشارة إليه أن ابن خلدون الذي وضع قواعد للنقد قلما طبقها في تاريخه . فقواعد النقد موجودة في مقدمة كتابه الذي يعرف عادة باسم المقدمة أو مقدمة ابن خلدون لكنه في باقي أجزاء كتابه اعتمد على الطبري وسواه من المؤرخين كابن الأثير وأبي الفداء . لاسيما وقل أن أورد ابن خلدون متنين لرواية من الروايات التي أثبتها في تاريخه . والغريب أن ابن خلدون أورد في مستهل نصه ترجيحاً لرأي على آخر بصدد قتل علي بن أبي طالب فقال : " قتل علي (رض) سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان ، وقيل لإحدى عشرة ، وقيل في ربيع الآخر ، والأول أصح " . فهذا الترجيح الذي يعتبر نقداً لمتن وتأكيداً لآخر نقلة بصورة حرفية عن ابن الأثير الذي أورد عن مقتل علي (ج / ٣ ، ص ١٩٤) ما نصه) " وفي هذه السنة (أي السنة ٤٠ه) قتل علي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منة وقيل لإحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه وقيل في شهر ربيع الآخر سنة ٤٠ والأول أصح " لكننا لم نر ابن الأثير ولا ابن الأثير ولا ابن خلدون الذي نقل عنة هذا الخبر ذكرا سبب اعتبارهما الخبر الأول (أي مقتل علي لسبع عشرة خلت من رمضان) أصح الأقوال .

لكن هذا لم يمنع أن ابن خلدون قدم لنا في آخر نصه رأيه في وجوب إلحاق خلافة معاوية بالخلفاء الراشدين غير أن حججه التي دعم بها آراءه لم تكن دائماً قوية .وأما رده للحديث الذي نسب إلى الرسول صلى الله علية وسلم من أن

الخلافة بعد ثلاثون ، وقول ابن خلدون فإنه لم يصح فإن علماء الحديث هم الذين جرحوا هذا الحديث واعتبروه موضوعاً ومزوراً على لسان الرسول وليس ابن خلدون الذي رده .

ومما يكن فإنه مناقشة ابن خلدون في القسم الأخير من نصه حيث تحدث عن وجوب إلحاق خلافة معاوية بالخلفاء الراشدين قد فضحت ميول هذا المؤرخ إلى الأمويين عامة وإلى معاوية بصورة خاصة لأن حاول جهد طاقته أن يجعل القارئ مقتنعاً بصحة رأيه لكنه لم يوفق محاولته تماماً .

فهذه ملاحظتنا على هذا النص لكنها مهما كثرت لا تمنع وجوب اعتبار ابن خلدون في طليعة مؤرخينا